المشرق

المجمع اللبناني

المنعقد في سنة ١٧٣٦ بدير سيدة اللويزة

ترجمهُ عن النسخة اللاتينية سيادة الحبر الفضال المطران يوسف نجم
رئيس اساقفة عكا والنائب البطريركيّ الماروني

نبذة للمعلم رشيد افندي الشرتوني محرّر البشير واستاذ الخطابة في كليَّة القديس يوسف

قلَّما تأتي الترجمة فصيحة بالعربيَّة متى التزم الناقل حرفيَّة الاصل المنقول عنهُ لانهُ في مثل هذه الحالة اذا لم يكن المترجم مقتدراً كل الاقتدار المطلوب فلا بدَّ ان يبدو على العبارة ما يبوح فيها بركاكة او ضعف او يُشعر على الاقلّ بخروجها عن مناهج التراكيب البليغة. غير ان من يطالع المجمع اللبناني الذي نتكلَّم عنهُ يرى مثلنا ان سيادة الحبر الفضال المطران يوسف نجم النائب البطريركي قد عُني بترجمتهِ على غاية ما يمكن من الفصاحة والسهولة بحيث يظن قارئهُ ان المجمع المذكور كُتب بالعربية بقلم كاتب مجيد لا بلغة اجنبيَّة وهذا منتهى الكمال في الترجمة

ولا يخفى انَّ نقل الكتب التي يكون مدارها على مادَّة مهمَّة تهذيبيَّة واعتقاديَّة وطقسيَّة كالمجمع اللبناني لا بُدَّ فيها مع الفصاحة من الوضوح التام حتى يتسهَّل لكل المطالعين من طبقات الاكليروس المختلفة فهمها من أيسر سبيل فلهذا اهتمَّ سيادة المترجم بجعل العبارة واضحة بيّنة الى حدّ ان القارئ لا يستطيع متى قرأها الَّا ان يفهمها كما لا يستطيع البصير اذا فتح عينيهِ الَّا ان يرى الاشياء التي يقع عليها بصرهُ

وقد ترجم سيادتهُ هذا المجمع عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية بمطبعة مجمع انتشار الايمان المقدَّس سنة ١٨٢٠ وطبعهُ على نفقتهِ في السنة الماضية بمطبعة الارز في

جونية فجاء كتاباً ضخماً يحوي مع الذيل ٧٨٠ صفحة بقطع ربع فنشكر لسيادته اذاً على هذه الترجمة البالغة حدّ الاتقان كما نشكر لهُ ايضاً اهتمامهُ بطبعها ونحرّض كل اكايريكي ماروني بل كلّ محبّ للعلم الكنسيّ على اقتنائها ومطالعتها لانها هي الدستور الوحيد الذي بموجبه يتمشى الموارنة في كل شؤُونهم الروحيَّة. هذا فضلًا عن انَّ احكام المجمع المذكور تقضي من باب الضرورة على كل اكايريكي ماروني بان تكون عندهُ نسخة من هذا الكتاب يرجع اليها عند الاقتضاء.

وفي هذا المقام رأينا من الواجب ان نلمّ بشيء من تاريخ المجمع اللبناني ودواعي التئامهِ لفائدة المطالعين فنقول: انَّ المجمع المذكور كان انعقادهُ في أيام رئاسة السيد البطريرك مار يوسف ضرغام الخازن الذي هو السادس والخمسون من بطاركة الموارنة والسابع عشر من الذين اقاموا في دير سيدة قنوبين وكان الباعث اليهِ رغبة البطريرك المشار اليهِ مع جمهور اساقفة الطائفة في اصلاح ما كان قد تدرّج خطأً الى التهذيب البيعي من الاشياء النادّة عن وضعهِ و بهائهِ الاوّلين. ولمَّا كان امضاء هذه الامور ممَّا لا يتأتى التسليم بهِ من الجميع بالخضوع الواجب اذا لم يعزّز بالسلطة العامَّة المطلقة التي يحترم الكل احكامها رفعوا الى قداسة الحبر الروماني البابا اكليمنت الثاني عشر والى مجمع نشر الايمان المقدَّس وبعض ذوي النيافة كرادلة الكنيسة الرومانيَّة عرائض مؤرخة بين أواخر تموز واوائل آب من سنة ١٧٣٤ والتمسوا فيها بالحاح ان يُرسل اليهم في سوريَّة السيد يوسف سمعان السمعاني ثاني مستحفظي المكتبة الواتيكانية واحد رؤساء بلاط قداسة البابا المشار اليهِ كقاصد رسولي معزَّز بما تقتضيه الحال من التفويضات تهذيباً واصلاحاً يأتيهما باسم الكرسي الرسولي مع مؤازرة السادة المنوَّه بذكرهم. وقد اوضحوا في عرائضهم المذكورة انهم يختارون السيد يوسف السمعاني لانهُ من ابناء طائفتهم وعارف بلغتهم وما يفتقرون اليهِ من الاصلاح وبالاخصّ لانهُ مشهور بدرايتهِ وواسع علمهِ وتقواهُ ومزيد خبرتهِ باحوال الشرقيين ولاسيما الطائفة المارونيَّة

امَّا قداسة الحبر الاعظم فتلقَّى التماسهم بالرضى والقبول واصدر اربع براءات: الاولى للسيد يوسف سمعان السمعاني بها يعيّنهُ بسلطتهِ الرسوليَّة قاصداً من لدنه ولدن الكرسي الرسولي الى الطائفة المارونية مقلداً اياهُ من السلطة والتفويضات والامتيازات ما يُفوَّض ويُسند عادةً الى امثالهِ في هذه الخطَّة. والثانية للسيد المشار اليهِ بها يوليهِ حقَّ لبس التاج

في المجمع والثالثة الى مار يوسف ضرغام الخازن بطريرك الموارنة بها يمدح حرصهُ على تمحيص وحدة الديانة الاورثذكسية وانماء التهذيب المقدس وتخليصه من الشوائب التي أوشك معها ان يُشفي على السقوط ويعلمهُ بتعيينهِ السيد يوسف السمعاني قاصدًا رسوليًا عن فرح قلب وطيبة خاطر. والرابعة الى رؤساء الاساقفة والاساقفة وهي في المعنى نفسهِ. وكذلك بعث مجمع نشر الايمان المقدس بثلاث رسائل الى البطريرك ورؤساء الاساقفة والاساقفة ورئيس الرهبان اللبنانيين الموارنة ومجمعهم العام وكلها تتضمَّن مديحًا عاطرًا لايمان الموارنة وغيرتهم على صيانة التهذيب الكنسي

وفي الثاني من تموز ١٧٣٦ وصلت الرسائل المقدَّم ذكرها مع السيد يوسف السمعاني وكانت لتلاوتها بهجة ورنَّة بين الموارنة وعلى اثرها زايل السيد البطريرك كرسيهُ في دير قنوبين قاصدًا كسروان واصدر امرًا الى رؤساء الاساقفة والاساقفة وغيرهم من ذوي العلم والفضل في طبقة الاكليروس العالمي والقانوني ان يبحثوا في مقدِّمات المجمع بدير مار سركيس الشهيد في قرية ريفون. وابتداء من اليوم الرابع عشر من ايلول بُدِئ هناك بتلاوة الاوامر وعرضها للمذاكرة فنشأت بعض امور حالت دون البحث فيها بحرّيَّة فاوجب تيسير مجرى الامور في سياق الترتيب والنظام الى انطلاق السيد البطريرك مستصحبًا رؤساء الاساقفة والاساقفة في ٢٦ ايلول الى دير سيدة اللويزة من معاملة كسروان. وكان القاصد الرسولي مع بعض الرؤساء والمرسلين وغيرهم قد اعتزلوا هناك منذ أيام فرارًا من المنازعات. فبعد ان صرفوا ثلاثة أيام يتطارحون كلَّ ما هو مُعدٌّ ان يُقرَّر ويذاع في المجمع اتَّفقوا اخيرًا على عقد المجمع في اليوم الثلاثين من ايلول من السنة السابق ذكرها (١٧٣٦) في كنيسة دير سيدة اللويزة

وعلى اثر ذلك اصدر السيد البطريرك امرًا بانعقاد المجمع وتقرَّر ان يكون موظَّفوهُ على الترتيب الآتي: اولًا رقيب المجمع: اسطفان عوَّاد السمعاني خوري الكنيسة البطريركية. ثانيًا كاتبا الاسرار. الخوري الياس سعد والقس اسطفان ورد. ثالثًا القرَّاء: الاب ارسانيوس الراهب اللبناني والشدياق يعقوب الحصروني والشدياق انطونيوس القسطاوي. رابعًا مديرا الرتب: الاب يواصاف الراهب اللبناني والشدياق منصور نجيم القسطاوي. خامسًا المسجلان: جرجس حبيب الخلاقلي وابرهيم حرقوش. سادسًا اللاهوتيون: الابوان يوسف ماريًا من سان دومولو ويوحنا المعمدان من فينيولا وكلاهما

من رهبانيَّة الاصغرين الحافظـين. والابوان اكاتنجلوس رئيس دير عزير وتوسانوس رئيس دير بيروت من الرهبان الكبوشيين. والابوان يوحنـا توما الصليبي وايلديفنسوس الميلادي من الرهبان الكرمليين الحفاة. والاباء بطرس هدول وبطرس فروماج وانطونيوس تاخي المارونى من الرهبان اليسوعيين. والخوري يوحنَّا مرقس والخوري سمعان سعيد الفغالي والخوري ميخائيل القرطبي والخوري ميخائيل غريبة من تلامذة مدرسة الموارنة في رومية. سابعًا الرأبون جبرائيل من مصبح ورعد عوّاد والياس غانم

وفي اليوم التاسع والعشرين من ايلول السابق انعقاد المجمع نُصب للسيد البطريرك عرش داخل نطاق الهيكل الى يمين المذبح وقبالتهُ عرش آخر الى الشمال. ويلي العرشين الى الجانبين كرسيان للشماسين وآخران لاثنين موازرين من المشايخ الخازنين ثم نُصب منضدة يكتنفها مصباحان وعليها كتاب الاناجيل ووُضعت كراسي بهيَّة ذات مواطئ لرؤساء الاساقفة والاساقفة وغيرهم من ذوي المقامات يقابلها كراسي أُخرى على هذا المنوال وجميعها تنظر الى المذبح. وجُعل في رحبة الهيكل بين الكراسي المذكورة ثلاثة كراسي حول مائدة مجلَّلة بالجوخ لرقيب المجمع وكاتبي اسراره. ونُصبت مقاعد اقلّ زينة للاكليروس العالمي والقانوني وما بقي كان مشغولًا بمقاعد مهيَّأة للجمع الغفير من المشايخ الخازنين والحبيشيّين وغيرهم

وفي يوم الاحد الثلاثين من شهر ايلول اجتمع السيد البطريرك والقاصد الرسولي ورؤساء الاساقفة والاساقفة ورؤساء الرهبانيَّات العامون والخوارنة والقسيسون والرهبان والشمامسة والشدايقة الى ردهة الدير الكبرى وبعد ان لبسوا جميعًا الحلل الحبريَّة والكهنوتية وغيرها من الشارات المقدسة كلٌّ بحسب درجته خرجوا من الردهة الى الكنيسة يتقدَّمهم الصليب البطريركي يليهِ الرهبان ثم الشدايقة فالشمامسة فالقسوس فالخوارنة فرؤساء الرهبانيَّات العامون فالاساقفة فرؤساء الاساقفة ثم السيد البطريرك والقاصد الرسولي وهم يترنَّمون باللحن السرياني المعتاد. وبعد الطواف بالكنيسة جلس السيد البطريرك والقاصد الرسولي في العرشين المعدَّين لهما وجلس سائر الحضور كلٌّ في مقامهِ وكان الى جانب عرش البطريرك اثنان وعشرون من رؤساء الاساقفة والاساقفة ورؤساء الرهبانيَّات والمدارس والاديرة وكهنة الرعايا. والى جانب عرش القاصد الرسولي اربعة وعشرون من رؤساء الاساقفة والمرسلين الكبوشيين والاصغرين

واليسوعيين فعندها قام السيد البطريرك وبدأ بالقداس وبعد تلاوة الانجيل القى الاب بطرس فروماج اليسوعي خطاباً اوضح فيه شدَّة لزوم المجمع وما يترتَّب عليهِ من الفوائد وقد ذُكر نصهُ في الصفحة ٣٩ وبعد القدَّاس استوى السيد البطريرك على عرشهِ بالملابس البيعيَّة وكذلك القاصد الرسولي وبعد قراءة البراءات الاربع السابق ذكرها ابرزوا جميعاً وثيقة اعترافهم بالايمان الكاثوليكي ثم بدئت الجلسة الاولى وولِيتها جلسة ثانية بعد الظهر وجلستان في اليوم التالي ومثلهما في اليوم الثالث فكانت الجلسات اذاً ستاً وفي الاخيرة وقَّع جميع الآباء رسوم المجمع بتواقيعهم ومهروها باختامهم والقى سمعان عوَّاد رئيس اساقفة دمشق خطاباً في لزوم العمل بالاحكام التي تقرَّرت في المجمع. ومن جملة ما قال فيهِ: — وما احسنهُ قولاً — يجب علينا نحن معشر رؤساء الكنيسة ان ننعش الشعب الضعيف الساقط في الحضيض الموكول الى عنايتنا ونسير امامهُ بمثال الاعمال الصالحة . . . ولنجتهدنَّ في رعاية هذه الرسوم البيعيَّة من جهتنا اولاً ثمَّ من جهة مرؤوسينا

ويشتمل المجمع على اربعة اقسام الاول في الايمان الكاثوليكي وتحتهُ خمسة ابواب. والثاني في الاسرار وتحتهُ اربعة عشر باباً. والثالث في الخدام والقسوس والرؤساء. ويتضمن ستَّة ابواب. والرابع في الكنائس والمدارس والاديار والترتيبات المجمعية وتحتهُ سبعة ابواب. ويلي هذه الاقسام التي تستغرق ٥٦٣ صفحة ذيل يشتمل على مئتين وصفحتين وفيهِ ثلاثة واربعون فصلاً في اغراض مختلفة يضيق المقام دون تعدادها يتبعها الرسائل المجمعيَّة التي رفعها البطريرك ورؤساء اساقفة الطائفة المارونيَّة واساقفتها ورئيس رهبان القديس انطونيوس والمرسلون اللاتين الذين حضروا المجمع الى قداسة البابا ومجمع نشر الايمان بصدد مجيء السيد يوسف سمعان السمعاني وبصدد المجمع ويتبع هذه الرسائل براءة تثبيت المجمع

وكان عدد الاساقفة الذين حضروا المجمع اربعة عشر من الموارنة واثنان من السريان واثنان من الارمن والرئيسان العامَّان لرهبانية القديس انطونيوس ورهبانية القديس اشعيا كلٌّ منهما مع مدبّريهِ الاربعة وغيرهم من رؤساء الاديار الحلَبيين والرهبان اللبنانيين ورهبان الطريقة القديمة المعروفين بالعبَّاد ثم نائب رئيس القدس وسائر الاراضي المقدَّسة وعدةٌ من المرسلين الرسوليين من كل الرهبان القاطنين في سوريَّة

وفلسطين — وقد سبق تعدادهم — ووجه غفير من الخوارنة وخدمة الرعايا والقسوس واللاهوتيين تلاميذ المدرسة المارونية برومية وغيرهم من الاكليريكيين والرهبان مع حشد من المشايخ الخازنيين والحبيشيين وغيرهم من الاعيان والوجهاء. فجملة عدد الذين حضروا المجمع من الاكليريكيين ٦٢ ومن الاعيان ٤٩ وجملة الكل ١١١ شخصاً

وكان الحق ان ينعقد المجمع في دير سيدة قنوبين الكرسي البطريركي غير ان ما كان يحول دون انعقاده هناك من المحاذير اوجب التئامهُ في معاملة كسروان. وبعد انحلاله وانصرافه بادر السيد يوسف السمعاني الى تفقُّد الكنائس والاديار في اللبنانين الغربيّ والشرقيّ منقباً كهنة الرعايا في مهنتهم وواجباتهم وواضعاً للرهبان والراهبات الشرائع والقوانين المطابقة لعاداتهم المرسومة حيث وجدها مفقودة وحاضّاً الاساقفة على الاجتهاد الرعائي واجادة تدبير الاكليروس والعامة وانشأ خمس رسالات مقدَّسة في خمس ابرشيَّات وامر بافتتاح المدارس في الديارات القائمة في هذه الابرشيَّات وخصَّص اربعة اديار لسكنى الراهبات منفصلة انفصالًا تامًّا عن اديار الرهبان

وكانت حالة الطائفة قبل المجمع على غير ما يشتهي المحب لانَّ القوانين القديمة لم تكن مرعيَّة حقَّ رعايتها ولم يكن في الرؤساء كثيرون ممن يقضون واجبات خطَّتهم او يرعون طريقة التهذيب البيعي فجاء المجمع المذكور شافياً لكل تلك الادواء حاسماً لهذه العلل برمَّتها غير انَّهُ لمَّا اراد القاصد الرسولي انفاذ بعض هذه الاحكام من وجه الدقَّة عملًا برسوم المجمع المذكور وقع الخلف بينهُ وبين السيد البطريرك على كيفيَّة انفاذها وفي سنة ١٧٣٨ ارسل البطريرك الخوري الياس سعد الى رومية قاصداً من قبله ليحتجَّ عمَّا يدَّعيهِ السيد البطريرك فبعد ان ألَّف قداسة الحبر الاعظم لجنة خصوصيَّة للنظر في هذه المسائل جزم بها اخيرًا جزماً باتًّا في براءة التثبيت المدرجة في خاتمة المجمع ومن مطالعتها يتبيَّن بجلاءٍ كل ما جرى من هذا القبيل فلا حاجة الى بيانهِ هنا

هذه هي مشتملات المجمع اللبناني اوردناها بالاختصار ومن يمعن النظر فيهِ يرى ان السيد يوسف السمعاني افرغ كل نصب وجهد في تأليفهِ على ما يوافق حاجة بني طائفتهِ وقد صنَّفهُ في رومية قبل حضورهِ الى لبنان بالعربيَّة واللاتينيَّة مراعياً فيهِ احكام المجامع التي انعقدت قبلهُ في الطائفة كما يظهر ذلك من مواضع كثيرة فيهِ

وكانت قد طبعت النسخة العربية من هذا المجمع سنة ١٧٨٨ في دير القديس مار يوحنا الصابغ الملقَّب بالشوير من معاملة كسروان وتمّ طبعها على نفقة الطيب الذكر الشيخ غندور الخوري تنصل فرنسة وقنصل الذي وزَّعها مجاناً حبّاً بالخير العام. غير انّ الطبعة المذكورة تختلف عن الطبعة الجديدة اولاً في انها لا تذكر شيئاً ممّا جرى قبل المجمع مع ان الجديدة دوّنت ذلك في ٤٨ صفحة . ثانياً ان في الجديدة كما قلنا ذيلاً يشتمل على متين وصفحتين وهذا لا وجود لهُ في الطبعة القديمة. ثم ان في المتن ايضاً بعض اختلافات بين الطبعتين وهي التي كانت سبباً لصدور اوامر الكرسي الرسولي بترجمة المجمع عن الاصل اللاتيني لانهُ هو المقبول وحده والحائز التثبيت واما النسخة العربية السابق ذكرها فكان قد أُجيز العمل بها موقتاً لا غير

وكان بودّنا ان نبيّن الاختلافات المذكورة واحداً واحداً ولكن رأينا ان ذلك يؤدي بنا الى التطويل الذي لا يحتملهُ المقام فاكتفينا من ثمّ بتعداد بعضها: اولاً ذكرت النسخة القديمة في جملة امتيازات السيد البطريرك بان يكون لديهِ اسقف او اثنان لاجل مؤازرتهِ في شؤون الكرسي والجديدة تزيد « على الاقل » ممّا يدلّ على ان البطريرك يستطيع ان يتّخذ اكثر من اسقفين لمعاونتهِ كما هو واقع الحال. ثانياً ان النسخة القديمة تجيز للسيد البطريرك قبل وفاتهِ ان يمنح حقّ التصويت لانتخاب البطريرك الجديد الى ستة من كهنة وشمامسة الكرسي البطريركي وليس لهذا البند وجود في الطبعة الجديدة. ثالثاً ان الطبعة الجديدة ذكرت رتبة تلبيس الراهبة من وجه ٥٠٨ الى ٥١٤ والقديمة لا تذكرها. رابعاً ان الطبعة الجديدة تذكر باباً برمّتهِ من وجه ٥٢٠ الى ٥٢٦ في الفروض الالهيَّة ونظام الخوروس وليس لهذا الباب اثر في الطبعة القديمة وهو يأمر بتعيين المرتلين من ذوي الاصوات الرخيمة وغير ذلك من الامور التي تحبّب الشعب الى حضور الصلوات وتدخل على قلبهِ الخشوع

بقي ان نبدي هنا ملاحظة وهو ان الطبعة الجديدة خلت من فهرس هجائي يعين على كشف المواد في مظانّها وهذا هو الشيء الوحيد الذي امتازت بهِ الطبعة القديمة

ولا ينكر ان المجمع اللبناني قد اتى الطائفة بفوائد عزيزة لانهُ وضع قوانين راهنة لسيرة الاكليريكيين وآدابهم وامر بانشاء المدارس لتثقيف الصغار والمترشحين للدرجات

المقدَّسة وعيّن الدروس التي يجب ان يتعلّموها وأبطل كلَّ ما كان من قد تدرَّج سهواً او خطاءً شيئاً فشيئاً الى تهذيب البيعـة واوجب على الرؤساء العناية بنشر الكتب المفيـدة للروح والآداب بين رعاياهم وامر برعاية الطقوس ونظام الخوروس والمرتلين والكنائس والمحافظة في الفروض على اللغة السريانيَّة التي كانت قد تركتها مطرانيَّة حلب قبل ذلك المعهـد بنحو اثنتي عشرة سنة الى غير ذلك مما يضيق المقام عن تعداده . وبالجملة فانَّهُ أعاد التهذيب الشرقي القديم وقرَّر حدود السلطة البطريركية وعيَّن خطط وواجبات الاساقفـة وخدمة الرعايا ورسم القوانين والشرائع للرهبـان والراهبات كما كان يُنتظر من رجل فاضل في الغيرة والحكمة كالسيد يوسف السمعاني

وقد عمل رؤساء الطائفة بموجب رسوم المجمع واحكامهِ وظهر عن العمل بها خير كبير فبعد ان كان السواد الاعظم من الاكليريكيين غير متعلمين ولا عارفـين الَّا اليسير ممَّا تندبهم اليهِ وظيفتهم كثر بينهم عدد المتفقّهين بالواجبات والوعَّاظ والمؤلفين الذين نشروا تآليف كثيرة آتت قومهم اعظم الفائدة وكلّ هذا بفضـل المدارس التي أُنشئت في الطائفـة بعناية البطاركة والمطارنة وسائر محبي الخير العامّ . على انهُ اذا كانت قد بقيت بعض امور في المجمع اللبنـاني لم يتيسَّر العمل بموجبها على الكمال والتدقيق لعدم استتبـاب كلّ الوسائل اللازمة فما زال غبطة سيـدنا البطريرك والسـادة اساقفتنا الاجلاء يُعنون بتيسير الاسباب المفضية الى سهولة الجري عليهـا بالتدقيق اللازم فالله المسؤول ان يأخذ بايديهم فهم آباء هـذا الشعب الصغـير الموكول الى عنـايتهم وعلى اجتهادهم واسهارهم واتعابهم يتوقف نجاحه الروحي والزمني وما من أبٍ الَّا ويحبّ بنيهِ حباً قلبياً ويعمل بحسب ما يطلب منهُ الحب

ولمَّا كنت قد وقفتُ بعد تتمَّة هـذا الفصل على الرسالة التي بعث بها من طرابلس الشـام بعد اسبوعين من انصراف المجمع الاب بطارس فروماج اليسوعي الى وكيل الرسالة اليسوعيَّة في الشرق أحببت نشرها هنا لافادة المطالعين لانها تتضمَّن خلاصـة ما تمَّ وتتنذر من الاعمال وتُعدّد بعض ما كان قد تسرَّب الى التهذيب الكنسي من الامور المخالفة لوضعهِ ولكن بالنظر الى طولها اجّلتُ اشهارها الى عدد

آخر من المشرق. ولا يخفى ما لهذه الرسالة من الاهمية لأنَّ صاحبها كان شاهدًا عيانيًا عارفًا حقَّ معرفة بلغة البلاد وعاداتها ومخالطًا للموارنة سنين عديدة فكان اذًا من الواقفين كل الوقوف على حالتهم

الكونت رشيد الدحداح واسرتهُ

للشاب الاديب والكاتب المحقق الشيخ سليم خطّار الدحداح (تتمَّة لما سبق)

٣ الكونت رشيد الدحداح في فرنسة

ولمَّا قنط من التجارة وعرف سوء عقباها اقرأها الوداع ووقف نفسهُ على خدمة المعارف والعلوم. وكان شغلهُ بالتجارة قبل ذلك لم يصرف نظرهُ عن الآداب. فانهُ كان عثر على شرحين مستوفيين احدهما للشيخ حسن البوريني والآخر للسيد عبد الغني النابلسي على ديوان الشيخ عمر الشهير بابن الفارض فوفَّق بينهما وطبع الكتاب في مرسيلية سنة ١٨٥٥ (ص ٥٩٦). وقد صدَّر الاب بارجس الافرنسي هذه الطبعة بمقدّمة افرنسيَّة اثنى فيها على همَّة الكونت. وهذه الطبعة لا تزال الى يومنا تفضل ما سواها من شروح هذا الديوان. ومن غرائب الامور انَّ هذه الطبعة جُدِّدت بمصر بالمطبعة الخيريَّة اعاد طبعها جناب محمد الاسيوطي سنة ١٣١٠ (١٨٩٣) وسكت عن اسم الكونت الدحداح ودعاهُ «رُشيد بن غالب المجتبي» وجعلهُ مسلمًا في فاتحة الكتاب. ولا نعلم كيف المذكور استجاز ذلك

ثمَّ حدا بالكونت رُشيد حبُّهُ للآداب الى ان انشأ جريدة عربية افرنسيَّة تولى ادارتها وتحريرها في باريس مدَّة ثلاث سنوات وسمَّاها «برجيس باريس» اي نسر باريس. وقد خدم بها وطنهُ خدمة نصوحًا. ولهُ فيها المقالات الخطيرة البليغة المعاني الفصيحة الالفاظ نتأسَّف من ان نطاق هذه المقالة لا يسمح بادراج فقرات منها. وممَّا نشرهُ وتفنَّن بتعريب مقالة سياسيَّة للمسيو دي لاكيرونيار (de la Guéronnière) احد مشيري الدولة في عهد نابوليون الثالث دعاها «كتاب التمثال السياسي» (ص ٥٦) لهُ في

اولها مقدَّمة افرنسية وفي آخرها قصيدة في مدح نابوليون هذا مطلعها :

ماذا على المنتطي اعلى ذرى الدُّوَلِ حتى يفوق كرام الاعصر الاولِ

وقد ألحق هذه المقالة بنبذة ثانية (سنة ١٨٦٠) تحتوي بيان حسن حال فرنسة في عهد نابوليون (ص ٦٢) قدَّمها لصاحب الفخامة الباي محمد الصادق في تونس

وقد اهتمَّ في الزمن نفسهِ بنشر مجموعة اشعار حكميَّة لاشهر شعراء العرب جعلها ابوابًا مختلفة حسب معانيها وسمَّاها « طرب المسامع في الكلام الجامع » طُبعت في باريس سنة ١٨٦١ (ص ١٣٦)

وقد عادت عليهِ اشغالهُ العلميَّة بالشهرة الواسعة وجعلتهُ في مقدَّمة ارباب القلم. وقد ارتبط من ذاك الوقت بعلائق متصلة مع مشاهير ارباب المعارف من ابناء لغتنا العربيَّة تشهد على ذلك مراسلاتهُ المتواترة مع المرحومَين صاحب السيف والقلم الامير عبد القادر الحسيني الجزائري ومنشئ الجوائب احمد فارس الشدياق وغيرهم من فطاحل اللغة وارباب العلم

وفي خلال السنة ١٨٦٢—١٨٦٤ تقرَّب الى سمو باي تونس وكان هذا قد حضر الى فرنسة لاجل عقد قرض ومشترى اسلحة وذخائر حربيَّة لدولتهِ. فدخل الشيخ رُشيد في معيَّتهِ وقد عيَّنهُ ترجمانهُ واعطاهُ سلطةً ونفوذًا لم يحصل عليهما قبلهُ احد من الاجانب في تونس. والحق يُقال انهُ لم يكن يرجو الباي ان ينال ما نال بواسطتهِ. فانهُ قد عقد قرضًا بشروط موافقة جدًّا لم يكن ليتأمل الحصول على بعضها. سيَّما وانَّهُ كان بينهُ وبين فرنسة وقتئذٍ منازعات سياسيَّة وكانت الثقة بمالية تونس وادارتها قليلة جدًّا. فقد توفَّر للباي بواسطة رُشيد الحصول على اسلحة وذخائر من احسن صنف بمبالغ زهيدة جدًّا بالنسبة الى مشترياتهِ السابقة فتقدَّم الى الشيخ بمبلغ عظيم جعلهُ هديةً منهُ لهُ مكافأةً على تعبهِ ونشاطهِ وامانتهِ وصدق خدمتهِ. واحبَّهُ كثيرًا واعلى منزلتهُ. وهو اول اجنبي مسيحي حاز ما حاز في تونس. ولهُ تحارير عن حالة تلك البلاد تشهد لهُ بالحمية والعدالة والغيرة والخبرة وعزَّة النفس والشهامة. . وقد مدح الباي بقصيدة لامية مشهورة تربو على التسعين بيتًا عارض فيها معلَّقة زهير الطائرة الصيت وتعرَّف في تونس بالشيخ محمود قبَّادو التونسي وتمكنت بينهما عُرى الوداد

وسنة ١٨٦٤ عاد رُشيد نهائيًا الى فرنسة واستوطن باريس حيث اقتنى قصرًا

بديعاً تكتنفها جنّة غنّاء كان يستقبل فيها كبراء الشرق الذين كانوا يؤمّون عاصمة الفرنسيس. وقد قسم دارهُ الى قسمين: الاول باثاث ورياش على الطرز الشرقي السوري وكان يقدّم لضيوفهِ فيهِ الخدمة على نسق عوائد لبنان. والثاني افرنسي الهيئة والعوائد. وفي هذا القصر اضاف الإمراء المصريين انسباء المرحوم اسميل باشا

وفيهِ ايضاً استقبل المثلَّث الرحمات البطريرك بولس مسعد وهو عائد من احتفالات القديس بطرس القرنية برومية سنة ١٨٦٧ الى باريس لمقابلة نابوليون الثالث والتفرّج على معرض باريس العامّ. وكان بمعيَّة غبطتهِ كل من السيّدين المرحومين المطران بطرس البستاني والمطران يوحنّا الحاج الذي مات بطريركاً والخوري نعمة الله الدحداح شقيق رُشيد والخوري حنّا حبيب اللذين توفيا بعد ان نالا الاسقفيَّة والخوري يوسف الدبس رئيس اساقفة بيروت حاليًّا والشمامسة بطرس الخوري وخليل مارون وهما الان الخوري بطرس حنّا الخوري الدلبتاوي والخوري بطرس مارون نائب ابرشية صيداء. وكان في خدمتهم عدد من الخدم والشمامسة. فنزلوا على الكونت رُشيد ضيوفاً كرماء. لاقوا في قصره من الحفاوة والاكرام ما يقصر عن وصفهِ القلم. وكانت الوزراء والسفراء وارباب الكهنوت يزدحمون في دارهِ لمواجهة غبطة البطريرك. وقد اطال في شرح ذلك سيادة الراعي الفضال المطران يوسف الدبس في كتابهِ المعنون «سفر الأخبار في سفر الاحبار»

وفي تلك السنة انعم السعيد الذكر البابا بيوس التاسع بلقب كونت روماني على الشيخ رشيد وعلى بكر انجالهِ وسلالتهِ من بعدهِ وذلك مكافأةً لهُ على اعمالهِ المبرورة وخلوص خدمتهِ للكنيسة والوطن معاً. ثم عاد بعد مدَّة قداسة الحبر الاعظم وشمل بهذه النعمة جميع اولادهِ وذرّيتهم من بعدهم

وفي سنة ١٨٧٢ احرز الكونت رُشيد الدحداح شرفاً عظيماً اذ رقَّى البطريرك بولس مسعد شقيقهُ عبّاساً (١ ثالث اولاد الشيخ غالب الى منصب الاسقفية وعيَّنهُ

١) ولد عبّاس سنة ١٨١٨ وأرسل سنة ١٨٣٢ الى مدرسة انتشار الايمان في رومية العظمى فدرس فيها مدَّة ١٣ سنة كلّ العلوم الاكليريكيَّة فبرع فيها ونال شهادة الملفنة في الفلسفة واللاهوت وكان يتقن التكلُّم والكتابة بعدَّة لغات كالايطالية والافرنسية والانكليزية. امَّا اللاتينية فكان يُعدّ من كتبتها المتضلّعين. وفي آخر دروسهِ سامهُ كاهناً معلمهُ القديم المطران نيقولا مراد باسم نعمة الله. ولمّا عاد الى سورية تولى تدريس اللغات الاجنبية في مدرسة عين ورقة الشهيرة مع مراقبة الدروس

على ابرشية دمشق فزان هذا الكرسيَّ بفضائلهِ لاسيما بنزاهتهِ وحبهِ للفقراء. مدَّة ١٨ سنة وكان يقيم غالباً بالدار البطريركيَّة يسعى في كلّ امور الطائفة بجدّ ونشاط حتى ان غبطة البطريرك بولس كان يعدّهُ كيدهِ اليمنى لا يأتي امرًا دون مخابرتهِ. وكثيرًا ما دافع بحزم واقدام عن حقوق البطريرك والاساقفة حتى فاز بالمرام. توفي رحمهُ الله في غرَّة تشرين الاول سنة ١٨٩٠ في دير سيدة نسبيه للرهبان الموارنة البلديين وعمرهُ ٧٢ عاماً فصار لهُ مأتم عظيم ومناحة مؤثرة وقد اخلف بدلًا من الثروة اسماً ممجدًا وذكر فضائلهِ لا يزال شائعاً في كل بلادنا

امَّا الكونت رُشيد فلمَّا رأى ما نالهُ من الجاه والمقام الرفيع تنعّم بما صارت اليهِ اموره ولم يعُد يطمع بالتجارة. وفي سنة ١٨٧٥ اشترى لهُ ولآلهِ الكرام على شاطئ بحر المانش في الشمال الغربي من مقاطعة ايل وڤيلان (Ille-et-Vilaine) قرية حقيرة مع ما يلحق بها من الاراضي الرملة الواسعة فانشأ فيها بلدةً لها اليوم شأن ولاهلها سعة وحسن حال تُعدّ من مرافئ فرنسة. وهي تدعى دينار (Dinard) فاجال فيها يد العمارة ووفَّر لها أسباب المعاش ووعَّر طريقًا للعربات واوصل اليها السكة الحديديَّة حتى صار يقصدها اهل الثروة من الانكليز وسواهم يقضون فيها فصل الصيف فادرَّ الله عليهِ بذلك اخلافَ الرزق ثمَّ شيَّد فيها صرحًا شاهقًا بديعاً دعاهُ قصر الضفَّتين (château des deux rives) فسكنهُ وهجر مذ ذاك الحين باريس وانقطع الى المعيشة الاهلية بعيدًا عن ضوضاء المدن الكبرى

وكان مع ذلك لا يزال يأنس بالتأليف والمطالعة ويكاتب مشاهير زمانهِ من محبّي

فيها. ثمَّ اختارهُ البطريرك بولس مسعد سنة ١٨٥٥ كاتباً لاسراره فبقي في هذه الرتبة الى سنة تسقيفهِ في شباط سنة ١٨٧٢. وهو الذي ترأس الوفد الذي ارسلهُ السيد البطريرك عام ١٨٨٧ لتهنئة قداسة البابا لاون الثالث عشر في يوبيلهِ الكهنوتي. فنال هو والسيدان المرحومان المطران بطرس البستاني والمطران يوسف الزغبي والخوري بولس بصبوص اسقف صيداء الحالي من سمو التفات امام الاحبار والكرادلة ما كان فخرًا للطائفة المارونية. وكان اثناء وجودهِ في رومية وتجولهِ في فرنسة موضوع ثناء الجرائد ومديح رؤساء الكنيسة. وهو اول من فاتح قداسة الحبر الاعظم بامر احياء المدرسة المارونية في رومية فاجاب البابا الى طلبتهِ واعلم غبطة البطريرك برضاهُ عن هذا المشروع العظيم الذي ما لبث ان خرج الى حيّز الوجود. وقد وفّق الله غبطة بطريركنا الحالي السيد المفضال الياس بطرس الحويك على اكمال هذا العمل الخطير في عهد سلفهِ المثلَّث الرحمات البطريرك يوحنا الحاج

اللسان العربي. ومن التآليف التي نشرها وتنتنز كتاب «قِطرة طوامير» نشرهُ في باريس بعد طبعهِ في ڤينة سنة ١٨٨٠ (ص٩٤+٢١) ضمَّنهُ مقالات ادبيَّة وفوائد عديدة لغويَّة وهذا آخر ما انتهت اليهِ سلسلة مطبوعاتهِ. وممَّا نشرهُ قبل ذلك بمدَّة كتاب فقه اللغة لابي منصور الثعالبي طُبع في باريس سنة ١٨٦١ (ص ١٥+١٧٢) وهي اوَّل طبعة لهذا الكتاب النفيس الذي جُدِّد طبعهُ في مصر (١٢٨٤هـ) ثمَّ ضُبط في بيروت بالشكل الكامل في مطبعة الآباء اليسوعيين مع مقدّمات وملحقات وفهارس (١٨٨٥، ص ٢٨+٤٣٢)

وقد رزق الله الكونت رُشيد من قرينتهِ مرتا كريمة الشيخ مرعي خمسة اولاد روزا والفونس و بولس و يوسف وابنة توفيت صغيرة

فروزا هجرت العالم وتعبَّدت لله في رهبانيَّة الترابيستيَّات (Trappistines) فتوفَّاها الله في شرخ شبابها. والفونس وُلد سنة ١٨٥٣ وبعد ان قضى سنة ١٨٦٣ في مدرسة عين طورا أُدخل مدارس فرنسة فتخرَّج فيها وقد اشتهر بذكائهِ وشهامتهِ وعزَّة نفسهِ. وكانت ولادة بولس سنة ١٨٥٥ في لندرة وتخرَّج في مدارس فرنسة. امَّا يوسف فوُلد سنة ١٨٦٠. وهؤلاء الاخوة مع تضلُّع والدهم باللغة وشهرتهِ في كتابتها لم يتعلَّموا منها شيئًا

وقد سعى الكونت في سني عمرهِ الاخيرة بان يقرن بنيهِ بعائلات فرنسة الشريفة العريقة في الحسب كما انهُ عُني بتحسين ارزاقهِ واصلاح تآليفهِ التي لم يزل قسم منها مخطوطًا من جملتها تاريخ كبير في مجلدات عديدة دعاهُ «السيَّار المُشرق في بوار المشرق» ونقل عنهُ نُتفًا في كتاب القمطرة (ص١٩ و ٢٢) ومنها ايضًا رسالة في فنّ المناظرات يُنيف عدد صفحاتها على الخمسين انشأها تحت عنوان «ترويح البال في القلم والمال» كان الكونت رُشيد فوَّض الى المرحوم الشيخ يوسف خطَّار الدحداح ان ينشرها بالطبع فاخذتها يد الضياع ولم نجد منها بين اوراقهِ غير المقدَّمة التي احبَّ الشيخ يوسف انَّ يصدّر بها هذه الرسالة. دونك ديباجتها:

الحمد لله. يقول كاتبهُ يوسف بن خطَّار بن جهجاه الدحداح اللبناني منشأً التونسي موطناً قد اطلعني على هاتهِ المفاخرة. مؤلفها الذي لم تزل فُلك الاضاءة بمجاذيف اقلامهِ في بحر التهذيب ماخرة. وطروس آدابهِ بكؤوس التدريس ساخرة. الشهم الحبرّ بالفلاح. الكونط رُشيد الدحداح . . . . فرأيتُ منها أُطروفة لطيفة السلك. نقية المادّة والسبك. تشهد لصاحبها بالتقدُّم في صناعة الانشاء.

والتقلّب في المقامات الخطابيّة كيف ما شيءَ منهُ او شاء.....

وللكونت ايضاً غير ذلك من المراسلات النثريَّة والنظميَّة والكاتبات الادبيَّة والتحارير اللغويَّة التي دارت بينهُ وبين مشاهير عصرهِ من نصارى ومسلمين لا يسمح ضيق المقام بذكرها

وكانت دار الكونت رُشيد في باريس ودينار منتجعاً لاهل الفضل يتقاطر اليها الاعيان لما يرون في صاحبها من اللطف والآداب وسعة المعارف ويشهد على عظم شأنهِ اعتبار اماثل فرنسة لهُ وقد احبَّ ثلاث من اكبر اسراتها مصاهرتهُ وقرن اصحابها بناتهم باولادهِ كما سيأتي

امَّا اهلهُ واقاربهُ فكان الكونت محافظاً على ودادهم يساعدهم في حاجاتهم ما استطاع وقد زارهُ منهم قوم في باريس ودينار نخصّ منهم بالذكر الشيوخ المرحومين اخاهُ سلُّوماً (١ وفيَّاضاً دحداح (٢ وقعدان (٣ ويوسف خطَّار (٤

---

١) ذهب الشيخ سلوم الى فرنسة لمساعدة اخيهِ في التجارة فبقي عندهُ ستَّ سنوات في فرنسة وانكلترة واحسن اللغة الانكليزيَّة. ثم عاد الى وطنهِ سنة ١٨٤٦ وخلف بعدئذٍ اخاهُ خليل في مديريَّة الفتوح وساسها ١٢ سنة بالعدل والنشاط والحكمة. ثم قام باعباء هذه المديريَّة بعدهُ جناب رفقتلو الشيخ اسد الدحداح. وكانت وفاة الشيخ سلُّوم في ٣ ك ٢ من السنة الجارية ولهُ من العمر ٨٠ سنة

٢) زار المرحوم الشيخ فيَّاض دحداح الدحداح فرنسا سائحاً ليرى غرائب الغرب وبدائعهُ فسرَّ بهِ الكونت رُشيد لما وجد فيهِ من الذكاء ولحسن معرفتهِ للّغة العربيَّة وانشادهِ اشعارها

٣) وهو الاب الجليل الخوري يوحنَّا الدحداح كان سافر الى باريس لبعض اشغال حالت الموانع دون قضائها ثم حضر من قبل الكونت الى مصر فلقي من خديويها الاسبق اسماعيل باشا تجلَّةً واحتفاء لما كان بينهُ وبين رُشيد من المودَّة وروابط الولاء

٤) تعيَّن هذا الشيخ ترجماناً في دوائر حكومة تونس واخذ يكاتب الشيخ رُشيد فعرف الكونت من هذه المراسلات ما كان عليهِ يوسف من النجابة والبراعة في الكتابة والحَّ عليهِ بان يقدم عليهِ في باريس. فلبى دعوتهُ غير مرَّة. ولو عددنا الرسالات التي تبادلها الكونت والشيخ يوسف لأربت على المئة في مواضيع مختلفة تدلُّ كلها على قدرة كليهما في الانشاء ومعارفها الجمَّة. ولسوء الحظ قد تلفت اكثر هذه الرسائل عند وفاة الشيخ يوسف خطَّار. وللمذكور قصائد وصف فيها «قصر الضفَّتين» وأُسرة الكونت ننشرها ان شاء الله في كتاب مطوَّل نذكر فيهِ اخبار لبنان عموماً والاسرة الدحداحيَّة خصوصاً. توفي الشيخ يوسف في غاية ايلول سنة ١٨٩١ وهو في عنفوان الشباب وكان قضى ٤ سنوات في تونس والجزائر وفرنسة ثم عاد الى وطنهِ بعد وفاة الكونت رُشيد باشهر قليلة فمات مأسوفاً عليهِ من جميع معارفهِ

ولم يقصر الكونت حبّهُ على اهلهِ واقاربهِ وانّما كان يتحفّى بكلّ السوريين الذين تسوقهم الاقدار الى باريس او دينار . لنا على ذلك شاهد في ما كتبهُ المرحوم الخوري لويس زوين في كتابهِ الفرنسوي المعنون « تذكار مسافر لبناني » فانّهُ اثنى على الكونت واتّسع في ما لقيهُ من الاكرام والحفاوة في قصر دينار الذي وصفهُ بابلغ عبارة

ومن آثار محبتهِ لوطنهِ انهُ كثيرًا ما كان يرسل الصدقات والحسنات لتوزَّع على فقراء لبنان . وقد استمرَّ سنين طويلة يُرسل المبالغ الوافرة الى اخويهِ المرحومين خليل ثم سلُّوم بعدهُ ليتحسَّنا بها على ذوي البأساء في عرامون مسقط رأسهِ وفي جهات الفتوح مقاطعة أسرتهِ الكريمة . وربّما كان يضيف الى الدراهم الاقمشة والحبوب والدقيق لسدّ حاجات المساكين . وقد وقف اوقافًا كثيرة على الاديرة والكنائس نخصّ منها بالذكر الاملاك التي حبسها على جمعيَّة المرسلين اللبنانيين وكان بينهُ وبين منشئها الطيّب الذكر المطران يوحنّا حبيب صداقة عظيمة . واشترط على الجمعيَّة لقاء حُبستهِ تقدمة الذبيحة عن نيّتهِ كل يوم مدَّة حياتهِ ولراحة نفسهِ وعن نيَّة اولادهِ بعد وفاتهِ

امَّا الذين كانوا احسنوا الى الكونت رُشيد الدحداح في بعض امورهِ فكان شكرهُ لهم جزيلًا لا ينسى قط لهم فضلهم . اخبرنا الثقة انهُ لمَّا اضطرَّ الى الفرار بعد حوادث سنة ١٨٤٢ التجأ في دلبتا الى الخوري الفاضل يعقوب الحاج ابي الثلث الرحمات البطريرك حنَّا الحاج ومكث عندهُ اسبوعًا مختفيًا ثمَّ طلب منهُ عند توديعهِ مبلغًا من الدراهم فاعطاهُ الخوري ٥٠٠ غرش ولم يعد ينظر غريمهُ منذ ذاك الحين . فلمَّا كانت سنة ١٨٥٣ ارسل الكونت رشيد تحريرًا الى الخوري يعقوب يذكّرهُ بمعروفهِ ويشكر لهُ فضلهُ وكان ادرج طي الرسالة ٥٠٠٠ فرنك

بيد انَّ الذي شرَّف الكونت رُشيد فوق كل ذلك وزادهُ رفعةً رسوخهُ في الدين وتقاهُ العجيبة . فانَّهُ كان رحمهُ الله صحيح العقيدة شديد التمسُّك بالديانة الكاثوليكيَّة حريصًا على الامانة التي ورثها من اجدادهِ يفتخر بدينهِ ويناضل عن صحَّتهِ . ولهُ في ذلك كتابات عديدة توضح الامر باجلى بيان منها ما اجراهُ في تونس لتعزيز ابناء دينهِ

وبقدر تقدُّمهِ في السنّ كان يزيد تورُّعًا وعبادةً ويرشد بنيهِ الى الاستيثاق بعروة الصلاح والتديُّن . ومن تقواهُ انهُ كان يخاف من النجاح العظيم الذي اصابهُ والتوفيق

الزائد في هذا العالم ومماً كتبهُ الى المطران يوحنا الحبيب قولهُ: «اني خائف ان يكون الربّ قد نسيني فهذه السعادة التي انا حاصل عليها ترعبني اذ يظهر منها انّ الله لم يَعُد يفتكر فيَّ واكتفى لي بهذه الدنيا »

كلاَّ انَّ الله لم ينسَ عبدهُ فانّ يدهُ تعالى حلّت عليه واشعرتهُ مراراً بانَّ لا نعيم يدوم في عالم البوار فانهُ كان سنة ١٨٦٨ فقد اعزَّ اخوته لديهِ المرحوم خليل الذي توفي بغتةً في الحسين من سنهِ . ثمَّ اتت النوبة بعد ذلك الى اهل بيتهِ ففقد ابنتهُ الثانية وهي في العاشرة من عمرها ثمَّ ابنتهُ روزا وهي بكر اولادهِ قصفها المنون غصناً رطيباً سنة ١٨٨٤ وهي في الثانية والثلاثين من عمرها . وقد سبق انها تعبدت لله في احد اديرة الراهبات فعاجلها الرب ليثيبها عن اعمالها المبرورة . لكنَّ هذه المصائب المتوالية فطّرت كبد الوالدين الذين تجرّعا هذه كأس الحزن بصبر جميل وباركا يد الربّ الذي يعطي ويأخذ كما يشاء .

وفي ايلول سنة ١٨٨٨ فقد الكونت شقيقتهُ راحيل قرينة الشيخ الياس ابن عمهِ مرعي ماتت ولم تبلغ الكهولة بعد مرض لم يمهلها سوى ايام قليلة دون ان يتوقع احد سوء عقباه . فكانت هذه الوفاة كصاعقة دوت في آذان شقيقها انذرتهُ بوفاته القريبة

والحقّ يُقال ان الكونت كان منذ زمن مديد يستعدُّ لملاقاة ربهِ شأن المسيحي الباسل ويكتز لهُ كنوزاً لا تفنى بالاعمال الصالحة . فلمَّا كانت اواخر سنة ١٨٨٨ اتى باريس لانجاز بعض اشغال خصوصيَّة وكان يشعر ببعض الضعف . فداهمهُ فيها المرض ولزم الفراش مدَّة اربعة اشهر وقاسى بصبر مضض اوجاع لم ينجع فيها دواء . فسلَّم روحهُ خالقها متزوّداً بكل أسرار الكنيسة نهار الاحد في ٥ أيار سنة ١٨٨٩ وهو لم يتمّ السادسة والسبعين من عمر قضاهُ في خدمة الدين والعلم والاعمال الخطيرة والمشروعات الخيريَّة

وقد جرى لهُ مأتم حافل مشى فيهِ الاعيان وارباب المناصب . ولهجت وتتنتر في ذكر محامدهِ الجرائد الأوربيَّة . اماَّ جرائدنا الوطنيَّة فاثنت عليهِ ثناء طيّباً نخصّ منها بالذكر جريدة البشير الغرَّاء في عددها الصادر في ١٢ حزيران من السنة نفسها وجريدة المصباح النير في ٢٧ تموز منها . وقد رثاهُ حينئذٍ الشيخ الفاضل شاهين ابو جبر الخازن بقصيدة عامرة الابيات طُبعت فتوزّعت مع البشير اولها :

ضياؤُ اورث الدنيا ظلاما ورزؤُ اعدم الرُّشد الاناما

وقال في ختامها مؤرخاً سنة وفاة المرحوم:

فتاهت ارضُ باريسَ انتحارًا وعزَّت اذ حوت شهماً هماما
غدا في ترجا كنزًا دفيناً وجاور في الثرى قوماً فخاما
فقلتُ مؤرخاً ذكراه توًا الى باريس إحمل لي سلاما

ولم يزل اسم الكونت رُشيد حتى الآن دائماً في باريس ودينار يذكرهُ بالخير كل من عرفهُ

امَّا اولادهُ فتراهم محافظين على سُننهِ مقتفين بآثارهِ. وكان الكونت قد توفَّق الى ان يقرنهم الى العائلات الفرنسويَّة الشهيرة العريقة بالشرف. فتزوَّج ثانيهم بولس سنة ١٨٨٢ بالكونتة لودوڤيز ابنة البارون دي لابورد من وجوه مقاطعة الماين (le Maine) وتولى صلاة اكليلهما في ايڤري ليثيك (Ivry-l'Evêque) من مقاطعة السارت (Sarthe) اسقفُ مدينة مان (le Mans) بحضور اعيانها ووجوه الولاية وكان احد شاهدي العريس دولتلو ناصر اغا سفير شاه العجم في باريس. وقد فاه الاسقف بهذه النسبة بخطبة انيقة اشار فيها الى محامد الأسرتين وبارك العروسين مستمطرًا لهما غيوث النعم الروحيَّة والزمنيَّة (١

وعُقد لالفونس ابن الكونت رُشيد البكر في السنة التالية على كريمة المركيز دي فورنس (Fournès) وهي من أُسرة ترتقي الى اجداد شرفاء كانوا في خدمة هوغ كابيت جدّ ملوك فرنسة. لكنَّ الله دعاهُ اليهِ في اوائل السنة المنصرمة فتوفي في ١٤ كانون الثاني ١٩٠٠ تاركاً ولدين الكونت رولان والكونت غوليوم لا يتجاوز عمر الكبير ١٧ سنة

امَّا الاخ الثالث يوسف فتزوَّج سنة ١٨٨٥ بابنة المركيز دي مولتدو (Multédo) وكان متولي صلاة الاكليل في باريس سفير الكرسي الرسولي في هذه العاصمة بحضور رئيس اساقفة باريس واعظم سراة فرنسا ورجال سياستها والسفراء.

هذه لُمحة موجزة من ترجمة الكونت رُشيد وأُسرته الكريمة وهي مع قصرها تبيّن للقرَّاء ما كان عليه الفقيد من المقام الشريف والمدارك الواسعة وما اداهُ لخير

---

١) جاء وصف هذا الزفاف في جريدة « اونيون دي لاسارت » وقد توسَّع الكاتب في الكلام عن العائلتين واختصر اعمال الكونت رُشيد واولاده وذكر نسب الآنسة دي لابورد

الدين والوطن من الخدم الجليلة (١ . وكنَّا نودُّ ان نختم مقالتنا هذه بذكر بعض ما كتبهُ عن الكونت رُشيد وآل الدحداح بعض مشاهير الكتبة الاوربيين (٢ الَّا انَّ ضيق المكان يضطرُّنا الى ضرب الصفح عنها لفرصة أُخرى ان شاء الله

وداع القرن التاسع عشر

وترحيب بالقرن العشرين

بقلم الاديب يوسف مراد الحوري احد تلامذة مدرسة الحكمة الزاهرة

بين كرِّ القرون والاعوامِ حادثاتٌ تمرُّ مرَّ الغمامِ

فزمانٍ يمضي بنيل مرامٍ وزمانٍ بغير نيل مرامِ

١) وقد ترك المرحوم خزانة كتب خطيَّة عربيَّة كان قد حصل عليها في اسفارهِ لاسيما في مدة وجودهِ في تونس ولندرة وهي الآن في دبار في ملك ونديه اللذين يجهلان اللغة العربية كما قلنا

٢) واخصُّ هذه الشهادات ما ورد في كتاب المسيو بوجولا (Poujoulat : *Vérité sur la Syrie*, p. 54) عن المشايخ في لبنان عموماً ومشايخ آل الدحداح خصوصاً . قال عن الكونت رُشيد :

« هو مارونيٌّ غيور محبٌّ لنا شديد التعلُّق بالكثلكة قد اشتهر بثبات جنانهِ وجسارتهِ وحسن دفاعهِ عن حقوق طائفتهِ وتفانيهِ في سبيل وطنهِ » . وقال في آخر هذه النبذة بعد الكلام عن الشيوخ الحوازنة والحبيشيين ما تعريبهُ : « ولكل من اهمِّ أُسرات المشايخ في لبنان شهرةٌ خاصَّةٌ يمتازون بها عن سواهم فقد اعتاد اللبنانيون ان يقولوا انَّ السيف لبني حبيش والكرم لآل الخازن وامَّا بنو الدحداح فقد امتازوا بذكائهم ومعارفهم » . ولا ناخذ على المؤلف الَّا قولهُ انَّ العائلة الدحداحيَّة تُقسم الى فرعَين وهي في الحقيقة خمسة فروع كما ترى في شجرة النسب (راجع الصفحة ٣٩٢)— وقد اتى أيضاً حضرة الاب جلبان اليسوعي في كتابهِ تاريخ الرسالة اليسوعيَّة (ج ١ ف ١٨) على آل الدحداح لكنَّهُ وهمَ في الفصل ١٨ بذكر الحوري « طوبيا حبيش » عند ذكره الاخ اليسوعي الفونس حيدر حبيش وهو يريد « الخوري طوبيا الدحداح نسيب والدة الشيخ حيدر حبيش الذي وُلد سنة ١٨١٨ وسُمي قيَّاضاً وسيم كاهناً باسم طوبيا سنة ١٨٤٣ بعد ان نبغ بين تلامذة عين ورقة . وقد خدم طائفتهُ في الاسكندريَّة بحكمة ونشاط مدَّة ٧ سنوات ومات سنة ١٨٤٩ في الوباء شهيد غيرتهِ ومحبَّتهِ للقريب . وقد اخذنا العجب من ناشر تاريخ الكنيسة المارونيَّة في مصر (في مجلة مار لويس قبل ١٠ سنوات) كيف سها عن ذكر الخوري طوبيا الدحداح مع شهرتهِ

هكذا مرَّ قرننا بسلامِ   واتى غيرهُ فالف سلامِ
ايها الراحل الذي شيَّعتهُ   زَفَراتٌ وأدمعٌ كالغمامِ
ليس من ينسى ما لفضلك فينا   من جميل يبقى أخا إعظامِ
كيف ننسى مآثرًا لكَ جلَّت   لم تزل نطريها بنشر الخزامِ
واختراعاتٍ للوجود تبدَّت   بعدَ كانت في حيّز الأعدامِ
لو دراها من القبورُ طوتهم   جرت الروح منهم في العظامِ
فمن الكهرباء تلقى ضياء   حاكيًا في الآفاق بدر التمامِ
وترى أنوارًا لها في دجى الليل   م كشهب تشقُّ قلب الظلامِ
ومناطيدَ في الفلا تتعالى   فتحاكي بالسير رشق السِهامِ
وقطاراتٍ خاطت الارض كالثو   بِ اذا ما يُخاطُ للاجسامِ
بصفيرٍ تخالهُ لحن عودٍ   وغناء من اطيب الانغامِ
وبخارٍ حاكى البخارَ مِن المر   جلِ مسدودَ الوجهِ فوق الضرامِ
ولدن تسري في الفيافي تراها   تحرق الارض من جرى الإقدامِ
كحبابٍ تنساب من فوق ارض   او لهيب يزداد بالاضرامِ
بتقاطيعَ خلتُها حينَ تنقطعِ   م قريضي تقطيعَ دُرِّ النظامِ
وكذا التيلغراف قد مدَّ سلكًا   فوق كل البلاد بالانتظامِ
وجبالًا وسط البحار اقامت   بين امواجها اعزَّ قيامِ
ولدى شقّها العباب تُرى جا   مدةً لكن سيرها كغمامِ
ولدى اطلاق المدافع تلقى   من دخانٍ مخيمٍ كظلامِ
ولها صوتٌ في المسامع هامٍ   وصداها مزعزع الآكامِ
تلك أيامٌ انبأتنا بأنَّا   قد غدونا في احسن الايامِ
أينعت اثمار العلوم وامسى   م الدهر ذا ثغرٍ بيننا بسَّامِ
وعقول الورى تسامت ونالت   ما غدا لا يرجى بلا الإلهامِ
عَلِمت ما تَضمَّنُ الشمسُ والبد   رُ وامسى ذا العلمُ في إعلامِ
ورأت ما بين الكواكب ما قد   ظنَّهُ الناس رؤيةً في منامِ
وسوى هذا ما يعزُّ على الأقلا   مِ تعدادهُ مع الافهامِ

كانت الناس قبل ذا القرن تحجو كل مفعول ما بهِ من حرامِ
وتظنّ الاملاك شيئاً مباحاً والعزيزَ المنيع ربّ المرامِ
فبدت أنوار العلوم وأمست تُقشع الجهل عن عقول الأنامِ
وغدت احوال الانام جميعاً دون هضمٍ تجري على الاحكامِ
واضاء الدين المسيحيُّ بدراً ساطعاً في قلب الدجى والقتامِ
وتسامى في كل صقعٍ ولكن بكلام الانجيل لا بالحسامِ
وغدا لا يخشى الرزايا وقد حا زَ على صخرةٍ اجلَّ مقامِ
كيف يخشى العدى ولاونُ امسى طول هذا الزمان خيرَ إمامِ
عند يوبيل القرن اهمى علينا من نداهُ سحائب الانعامِ
وتعالى الدعاء منّا جميعاً ربّنا ايّدهُ على الأقوامِ
بانياً للصليب في كل عصرٍ شامخاتٍ معزّزاتٍ سوامي
وليدُمْ بالمجد الاثيل لانّ م الدين يبقى بهِ حليف الدوامِ
ايها القرن ليس يعروك ذمٌّ بامور جرت لديك عظامِ
من حروب فيها الدماء أُريقت وهمى الدمع مثل بحرٍ طامِ
ونفوسٍ على ظُبى السيف سالت وصلاة السيوف فوق الهامِ
تلك ايّام قد مضت غير انّا في زمانٍ محافظٍ للذمامِ
في زمانٍ مدّ الامان رواقاً ورعى سرحانٌ مع الاغنامِ
في زمانٍ يعيش من رام خيراً ويذوق الشريرُ كاس الحمامِ
في زمانٍ غابُ الغضنفر أمست دون خوفٍ مراتعَ الآرامِ
وغدا الليث حينَ يسلمِ كظبي والرشا آن الحرب كالضرغامِ
ايها الشيخ الراحل الآن عنّا ما على ما فعلتَهُ من ملامِ
ان تكن قد نقّصت شيئاً فذا القر ن جديرٌ في الدهر بالإتمامِ
او تكن قد جانستهُ فعاينا ان نبينَ الجناس بالادغامِ
رحت شيخاً لكنما الفضل فينا لم يزل عمرهُ كعمر الغلامِ
كلُّ ما كان فيك سوف نراهُ زائداً ما بين الورى بالتمامِ

فعليك السلام عند وداعٍ نشرهُ ضاهى عرف نشر الخزامِ
وعلى القادم السلام ابتداء وعلى اهليهِ اتى في الختامِ

دوام البتولية المريمية

بقلم القس بطرس عزيز نائب بطريرك الكلدان بحلب

ما زالت النصرانيّة تحافظ على معتقد دوام بتوليّة ام الله شرقاً وغرباً كما تسلّمتهُ من الرسل الابرار وتشهد عليهِ آثار القرون الاولى بعد الميلاد حتى قام في الجيل الرابع هلبيديوس المبتدع وادَّعى انَّ البتول الطاهرة بعد ولادة ابن الله الكلمة فقدت بكارتها واولدت من يوسف اولاداً

فما نطق هلبيديوس بهذا الزعم الفاسد حتى اخذت الحميَّة المؤمنين عموماً وآباء الكنيسة خصوصاً فتصدَّوا لمن ثلم بلسانهِ الشرير شرف البتول مريم وفنَّدوا قولهُ بحجج دامغة نسفت البدعة نسفاً فلم تبقِ لها اثراً. ومن تصفَّح أقوال الآباء في دحض الكافر يدرك من وقتهِ ما اثارتهُ تلك الهرطقة في قلوب المسيحيين من ثوائر النفور والبغض. فانَّ اوريجانس كان سبق ودعاها جنوناً ونعتها القديس امبروسيوس بالنفاق والقديس ايفان بجسارة مفرطة وتجديف صريح وفيلسترجيوس بكفر لا يطاق. فلا بدع اذا كسدت حينئذٍ سوق هذه الشيعة المستحدثة وتلاشت مع مبدعها

غير انَّ هذه الجيفة النتنة أبت ان تبقى في قبرها فعاد اهل الاصلاح الموهوم واحيوها من رممها في القرن السادس عشر مع ما بعثوا من الاقاويل السفسطيَّة والترهات المنسيَّة

وان سأل السائل ماذا حمل لوتاروس واشياعهُ على نكران هذه الحقيقة. أجبنا ان هذا الراهب بعد نبذهِ نذر العفّة واطلاقهِ العنان لشهوات قلبهِ احبَّ ان يناضل عن صنيعهِ ليحسّنهُ في اعين الجمهور فنكر فضل البتوليَّة على الزواج كما تعتقد الكنيسة بذلك. ولمَّا كانت بتوليَّة العذراء من اقوى الحجج لتأييد قول الكاثوليك وبيان شرف البتوليَّة التي زيَّن بها الله والدتهُ الطاهرة احبَّ ان يحيي بدعة هلبيديوس ويستند الى سفاسفهِ الباطلة اثباتاً لرأيهِ. وقد قام الكاثوليك بازاء لوتاروس كما فعل اجدادهم امام

هلبيديوس وابطلوا قولهُ وقول انصارهِ . وما كنَّا نحن لنعود الى تفنيد هذه البدعة لعلمنا انَّ كثيرين من البروتستانت يقولون اليوم بقولنا ويكرّمون البتول اكرامًا عظيمًا لو لم نرَ بعضًا من دُعاتهم في بلادنا يغرون البسطاء ويصوّبون في نشراتهم الاسبوعية سهام الطعن الى هذه العقيدة فاردنا ان نجمع في هذه النبذة الموجزة اخصَّ البراهين التي تنفي قول المبتدعين وتثبت ايمان كنيسة الله ثمَّ نردّ على الاعتراضات التي لاذ بها اهل الضلال لتأييد زعمهم الفاسد

١ واوَّل برهان نأتي بهِ لبيان بتوليَّة العذراء بعد ولادتها كما كانت بتولًا قبل ولادة المسيح وفي ولادتهِ التقليدُ العامّ المتواصل المستوفي الشروط الذي يجعل هذه الحقيقة راسخة على صخرة هيهات ان تزعزعها ريح اللدد والمكابرة . فيا تُرى كيف قدرت هذه الحقيقة ان تنتشر في كلّ بلاد العالم في جميع الكنائس الشرقيَّة والغربيَّة معًا بلا استثناء وليس فقط عند الكاثوليك بل في كلّ الكنائس المنفصلة عنا لو لم تكن هذه الحقيقة مرتقية الى الرسل اخذوها قبل انفصالهم من مصدرٍ واحد واستقوها من ينبوع واحد لم تعكرهُ آراء المبتدعين

وان قال الخصم انَّهُ تعليم مستحدث سألناهُ مَن مخترعهُ وكيف ادخلهُ في اعتقاد جميع المسيحيين دون ان يتعرَّض لهُ احد . بل رأينا بخلاف ذلك كلّ المؤمنين نبذوا رأي هلبيديوس ظهريًا في اوَّل بروزهِ . افليس هذا دليلًا كافيًا على انَّ الكنيسة في القرون الثلاثة التي سبقت زمن هلبيديوس كانت تعتقد بدوام بتوليَّة العذراء . أفتكون كنيسة المسيح شردت عن الحق في اجيالها الاولى خلافًا لمواعيد المسيح عن ثباتها وخلافًا لرأي البروتستانت انفسهم

ولعلَّ المخالفين يقولون انَّ هذه القضيَّة مستندة الى التقليد ونحن لا نرضى بالتقليد لفسادهِ . اردنا قولنا : أتنكرون كلَّ تقليد او بعضهُ فقط . فان قالوا : نرفضهُ كلَّهُ . اجبنا انكم بذلك تبطلون كلَّ الحوادث التاريخيَّة كوجود الاسكندر وفتوحات الرومان واكتشاف اميركة لانها كلّها مبنيَّة على التقليد . وان قالوا : نرفض بعض التقليد ونقبل بعضهُ . سألنا ما هو التقليد المقبول أليس هو التقليد ذا الشروط التامَّة المبني على شواهد قديمة صادقة ؟ فلعمري ايّ حادث تاريخي جمع فيهِ هذه الشروط كتقليد بتوليَّة العذراء

الدائمة فترى الشهود عليه حائزين اعظم ثقة مع كثرة عددهم واختلاف بلادهم وازمنتهم وترعاتهم ومذاهبهم. فنشدتك الله أنكذّب النصرانيّة كلها مدّة تسعة عشر جيلًا ونعاند في الحقّ جهابذة العلم والدين اعني آباء الكنيسة واولياءها القديسين وشهداءها الابطال لنصدّق هلبيديوس ولوتاروس. فليحكم الحكَم المنصف

٢ البرهان الثاني نبنيه على مبدإ يقبلهُ كلُّ ذي عقل سليم وهو انَّ مريم العذراء هي امّ الله (كما يسلّم بذلك اشياع الاصلاح الموهوم) فلا بُدَّ اذن ان يعزِ اليها كلّ ما هو افضل في النظام الادبي واكمل في حدود المخلوق. والنتيجة واضحة وان كنت في ريب من صحّتها أتيتك بشهادة لا يمكن البروتستانت انكارها ألا وهي شهادة زعيمهم لوتاروس نفسه قال في شرحهِ نشيد البتول العذراء (ك ٩ ص٨٥ من طبعة ويتمبرج سنة ١٥٥٤) قال: « بناء على ذلك (اعني كون مريم امَّ الله) قد وهبها الله هذا المقدار من الخيرات الشريفة الفائقة كل ادراك. لانهُ من ذلك نأتيها كل شرف وغبطة بحيث اضحت في الجنس البشري شخصاً فريدًا تعلو فوق الجميع ولا يساويها احد اذ قد اشتركت مع الآب بابن كهذا... فكلّ شرفها تتضمّنهُ هذه الكلمة وحدها « ام الله » ومن يقدر ان ينعتها او يصفها بابلغ من ذلك ولو كانت لهُ من الألسن ما للارض من الزهور والنبات وللسماء من النجوم وللبحر من الرمال » انتهى قول لوتاروس الذي بيّن جليًّا مبدأنا السابق انهُ يحقّ ان يُنسب للبتول كل ما هو اشرف وافضل. والحال انهُ أفضل لشرف مقام مريم ان تبقى بتولًا لانَّ البتوليّة وفقًا لقول بولس الرسول (١قورنثوس ص٧) خيرٌ من الزيجة. فاذن لا بُدَّ من القول انَّ مريم حافظت على بتوليّتها الدائمة ومن قال خلاف ذلك يشين شرف العذراء الطاهرة وينسب اليها الدناءة كأنَّها بعد ان تشرفت بأن صارت والدة الله لم تحفل بابنٍ اشتركت بهِ مع الآب السماوي حتى ابتغت لها غيرهُ. وفي ذلك من العار ما لا يرضى بهِ للعذراء لوتاروس نفسهُ

ولنا في كتب لوتاروس شهادات أُخر نستنتج منها انَّ العذراء لم يُمكنها ان تفقد بتوليّتها. قال المذكور في تأليفهِ المدعو «كيركنبوستيل» (طبعة ولش في هال سنة ١٧٤٥ المجلد ١١ ص٢٦١٦) ما تعريبهُ الحرفي: « جميع البشر حُبل بهم بالخطيئة نفسًا وجسدًا الّا المسيح... امَّا العذراء مريم فقد حُبل بها بالجسد بلا نعمة ولكن بالنفس مفعمةً من النعمة وهذا معنى قول الملاك جبرائيل لها: مباركة انتِ بين النساء. فلو كانت

تحت اللعنة لما جاز ان يقال لها: انت مباركة. ولقد كان من باب العدل ان تصان هذه المرأة من الخطيئة لانّ المسيح كان مزمعاً ان يتخذ لهُ منها جسداً بهِ ينتصر على كل خطيئة. وكلُّ ما هو مزيّن بالنعمة الالهيّة يدعى مباركاً وهذا هو معنى قولنا بدون خطيئة . . .» انتهى قولهُ. وعليه نبني هذا البرهان ان كان يحق للبتول على قول لوثاروس ان يُحبل بها بلا خطيئة وهو امرٌ تفرّدت بهِ بين جميع البشر أفليس هو احرى بها ان تبقى بتولاً على الدوام كما بقي كثيرٌ من النساء غيرها وهي تفضلهنّ جميعاً. فما قول البروتستانت ؟

٣ البرهان الثالث — اخبر لوقا البشير انّ العذراء مريم لمّا بشرها الملاك بانها تحبل وتلد ابناً اضطربت واعترضت قائلةً: «كيف يكون هذا وانا لا اعرف رجلاً» فهل من دليل اوضح على انّها كانت مصمّمة في قلبها ان تحفظ بتوليّتها حتى في الزيجة وطول حياتها. ولكي تقف على حقيقة وقوّة هذا البرهان عليك ان تعتبر انّ البتول قالت ذلك وهي مقترنة بيوسف البارّ بزيجة شرعيّة. ولا بأس من قول الانجيلي انّها كانت مخطوبة لرجل اسمهُ يوسف. لانّ الخطبة عند اليهود كانت تخوّل الرجل كلّ حقوق الزيجة حتى قبل ان تزفّ اليه خطيبتهُ وهذا يظهر واضحاً من سفر تثنية الاشتراع (٢٠: ٧ و ٢٢: ٢٣— ٢٨) ومن كلام القديس لوقا نفسه(٢: ٥) حيث تُدعى مريم «امرأة يوسف المخطوبة» ومن قول متى (١: ١٩— ٢٠) وفيهِ دعا يوسف «رجل مريم» ومريم «زوجة يوسف» وذكر «تخليتها» وكلّ ذلك قبل ان يذكر في العدد ٢٤ انّ يوسف «اخذ زوجتهُ»

فصحَّ اذن انّ مريم كانت عند ظهور الملاك لها «زوجةً ليوسف» فان كان ذلك كذلك ما معنى اعتراضها على الملاك واضطرابها لدى استماعها منهُ انها تحبل وتلد ابناً وقولها «اني لا اعرف رجلاً» أليس كلُّ ذلك دليلاً بيّناً على انها لم تقترن بالزيجة لتسيمها يوماً وانّها قصدت قصداً ثابتاً ان تبقى بتولاً الى آخر حياتها حتى بعد الزيجة. فبكل صواب استنتج الآباء من كلام مريم للملاك انها كانت قد نذرت بتوليّتها لله قبل الزيجة ولا يُفهم لقولها معنى الّا اذا سلّمنا بذلك

هذا ومن اعتبر الغاية من زيجة مريم ويوسف العجيبة التي صرّح بها الملاك ليوسف (متّى ١: ٢٠— ٢١) يرى واضحاً انّ هذه الزيجة الشرعيّة لم يرتّبها الله لاجل النسل بل ليكون يوسف حارساً لبتولية مريم ومعيناً لها في تربية ابنها الالهي لا غير. وان كان الامر

هكذا فلا يمكن ان تكون بتولية مريم الّا دائمة

٤ البرهان الرابع — نأخذهُ من دلائل شتى اوردهـا الآباء تبطل قول المبتدعين وتجعلهُ منافيًا للعقل . قال فم الذهب: « انهُ غنيٌ عن البرهان بانَّ ذاك الصديق (يريد يوسف) لم يجسر ان يمسَّ تلك التي عرف انهـا صارت امًّا بنوع إلهيّ وتشرَّفت بولادة عجيبة كهذه »

وقال القديس ايرونيموس يحاجُ هلبيديوس: « وخلاصة الكلام اني اسألك: لماذا امتنع يوسف (من طلب حقوق الزيجة) الى يوم الولادة ؟ لا شكَّ انك تجاوب: لانهُ سمع الملاك يقول لهُ انَّ المولود منها هو من روح القدس . نِعْمَ الجواب . ولكن ان كان يوسف لمجرَّد ايمانهِ بالرؤيا لم يجسر ان يعرف زوجتهُ أفيكون تجاسر بعد ذلك ان يقترب الى هيكل الله ومقرّ الروح القدس ووالدة ربّهِ بعد ان عرف من الرُّعاة بانَّ ملاك الربّ نزل من السماء وقال لهم: وُلد لكم مخلّص المسيح الربّ ومعهُ جنود سماويَّة تنشد بالتسابيح وبعد ان رأى سمعان الشيخ يعلن صفات الطفل يسوع وهو بين ذراعيهِ وبعد ان شاهد حنَّة النبيَّة والمجوس والنجم وهيرودس والملائكة وعجائب لا يحصرها عدد ؟ . »

ومثل القديس ايرونيموس تكلَّم جميع الآباء . وقد لخَّص شمس المدارس القديس توما اللاهوتي براهينهم في خلاصتهِ اللاهوتيَّة في الفصـل الثالث من البحث ٢٨ من القسم الثالث: « انَّهُ لحقيق بان يُرذل بلا ريب ضلال هلبيديوس الذي تجاسر ان يزعم بانَّ يوسف عرف امّ المسيح بعد ولادتها فاولدت مريم اولادًا أُخر غيرهُ . اولًا لانَّ هذا القول يخلّ بكمال المسيح لأنَّهُ كما انَّ المسيح بحسب طبيعتـهِ الالهيَّة ابن الله الوحيد لكونهِ ابنهُ الكامل بكل شيء . فهكذا كان حقيقًا ان يكون وحيد امهِ لكونهِ ابنها الكامل بكلّ شيء . . ثانيًا لانَّ هذا الضلال يهين الروح القدس الذي جعل احشاء مريم كمقدس ليصوّر بهِ جسد المسيح وما كان ليسمح لرجل ان يهتكهُ بالمجامعة . ثالثًا يشين بمقام والدة الله وقداستها اذ ينبئ عن نكران جميل جسيم فيها حيث لم تكتفِ بابن كهذا وأذلَّت نفسها حتى فقدت بكارةً حفظها الله فيها بنوع عجيب . رابعًا لكان يُنسب ذلك الى جسارة عظيمة في يوسف لو حاول ان يدنّس تلك التي عرف بوحي الملاك انها حبلت من الروح القدس . ولهذا يجب القول على الاطلاق بانَّ امّ الله كما حبلت وهي عذراء وولدت وهي كذلك لبثت بتولًا الى الابد بعد الولادة

٢

بقي علينا ان ندحض الاعتراضات التي يوردها الاخصام لإثبات قولهم وهي ثلاثة يأخذونها من الانجيل ويزعمون انها تبطل حقيقة دوام بتولية العذراء.

وقبل الجواب عليها نلاحظ: اولاً انَّ الانجيل الطاهر كُتب قبل ظهور البروتستانت بألف وخمسمائة سنة فلو كان فيه شيء ينافي دوام بتوليَّة العذراء. فالعجب انَّ المسيحيين القدماء لم يعاينوهُ ونراهم بالعكس يدافعون عن هذه الحقيقة ويرذلون من ينكرها. ثانياً انَّ من اراد مطالعة كتاب قديم كما هو الانجيل ويريد شرحهُ لا بُدَّ ان يراعي اصطلاحات الزمان الذي كُتب فيه وعادات الشعب الذي قام بينهُ الكاتب ولا يجوز لهُ ان يفهمهُ على نسق الاصطلاح الحاضر. ولمَّا كان المسيحيُّون القدماء اقرب الى زمن المسيح والرسل ترتَّب القول بانهم ادركوا معنى الانجيل احسن من البروتستانت الذين قاموا بعد عهد اولئك المسيحيين بزمن طويل. فاذا فهمت ذلك قلنا:

انَّ (الاعتراض الاوَّل) الذي حاول اخصام بتوليَّة العذراء ان يتخذوهُ حجَّة لزعمهم وجدوهُ في قول الانجيلي متَّى (١: ٢٥) عن يوسف «انهُ لم يعرف مريم حتى ولدت ابنها البكر» فزعموا ان قولهُ «حتى ولدت» دليل على انَّ يوسف عرفها بعد ولادة ابنها. لكن هذه النتيجة باطلة: اولاً لان غاية الانجيلي في هـذا المكان ان يعلمنا انَّ مريم كانت عذراء قبل الولادة وانَّ ابنها يسوع من الروح القدس لا من يوسف. فهذا هو الضلال العظيم الذي كان يجب على الانجيلي ان يسبق ويستدركهُ ففعل بقولهِ انَّ يوسف لم يعرفها «حتى ولدت» فردَّ بذلك زعم اليهود والملحدين واستشهد بآية اشعيا القائل انَّ العذراء تحبل وتلد عمَّانويل. امَّا كون يوسف عرفها بعد الولادة فذلك لم يكن ان يخطر على عقل مستقيم فلهذا لم يرَ القدّيس متى حاجةً الى التنويه بهِ لاسيا انَّهُ كتب انجيلهُ لليهود الذين كانوا شهودًا عيانيين على الامور التي كتبها وكانت مريم بعدُ في قيد الحياة ويعرف الكل انها باقية عذراء فلم يكن يخيفهُ ان ينتجوا من عبارتهِ ما ينتجهُ البروتستانت. ثانياً كذا فهم الآية قدماء الآباء. قال القدّيس ايرونيموس: قولهُ «لم يعرفها حتى ولدت» لا يدلُّ على كون يوسف عرفها بعد ولادة ابنها. وانَّما اراد فقط انَّهُ لم يعرفها قبل. ثالثاً ولنا في الكتاب الكريم امثال عديدة منها قولهُ (تكوين ٨: ٧) عن الغراب انهُ لم يرجع الى سفينة نوح «حتى نشفت المياه» فمن يستنتج من ذلك انهُ رجع بعد ما نشفت. وقولهُ

في المزامير (١٠٩ : ١) عن المسيح انهُ ينبغي ان يملك حتَّى يضع اعداءهُ موطئاً لقدميهِ . فهل يؤخذ من ذلك انَّهُ لا يملك بعد انتصاره على اعدائهِ . وامثال ذلك كثيرة (راجع ٢ ملوك ٦ : ٢٤ والمزمور ٧١ : ٧) . رابعاً لا تستعمل دائماً لفظة « حتى » او ما يناسبها للدلالة على قطع حكمٍ ما قبلها عمَّا بعدها . وذلك خصوصاً في اللغة العبرانيَّة واللغات السامية . أفلا نقول مثلاً ان زيداً كان مثابراً على الدرس تقيّاً ورعاً منذ نعومة اظفاره « حتى كهوليَّتهِ » أفذلك يبطل كونهُ لم يثابر على الدرس والتقى بعد الكهوليَّة . قال القديس ايرونيموس يحاجّ هلبيديوس : اذا قلنا ان هلبيديوس لم يَتُب حتَّى مات أفيصحُّ القول انهُ تاب بعد موتهِ ؟

(الاعتراض الثاني) اخذ الاخصام من نصّ متَّى السابق ذكرهُ من لفظة « بكر » في قوله « حتَّى ولدت ابنها البكر » فيزعمون انَّ لفظة « بكر » تفترض اخوةً للمسيح . وعليهِ فلا يصحُّ القول بان مريم دائمة البتوليَّة . لكنَّ هذا القول مردود كالسابق لانَّ لفظة البكر تُطلق على اوَّل البنين سواءٌ كان لهُ بعدهُ اخوة او لم يكن . قال القديس ايرونيموس في تفنيد هلبيديوس : « اعلم انَّ البكر ليس هو فقط من بعدهُ غيرهِ بل ايضاً من ليس قبلهُ احد » . وان كان هذا النصّ الانجيليّ هو الاصلي (لانهُ يُقرأ في بعض الترجمات « ابنها الوحيد » بدلًا من « ابنها البكر ») فبقوله « ابنها البكر » قصد متَّى انَّ يشير الى ان مريم كانت عذراء لا ارملة »

وتؤيد الاسفار المقدَّسة شرحنا للفظة البكر وهي كثيراً ما روتها بهذا المعنى . أفلا ترى انَّ الله اوصى ان يُقرَّب لهُ كلّ بكر (خروج ٣٤ : ١٩ وعدد ١٨ : ١٥) ثمَّ صرَّح بمرادهِ فقال ان البكر هو كل ذكر فاتح رحم . فان كان البكر هو فقط الذي لهُ اخوة كما يزعم البروتستانت لاقتضى الامر ان لا يقرَّب البكر حالًا بل يُنتظر حتى يتبعهُ اخ بعدهُ فان وُلد قُرّب الاوَّل والَّا فلا . فترى الى اي نتيجة يبلغ اهل السفسطات في معاندة الحقيقة

بقي علينا حلّ (اعتراض ثالث) على بتوليَّة العذراء . وهو ما ورد في الانجيل عن « اخوة الرب » فيزعم الاخصام انَّ هؤلاء الاخوة ولدوا لمريم من يوسف بعد ولادة المسيح . فجوابنا على هذا الاعتراض انهُ لامرٌ معلوم عند كلّ من لهُ إلمام بالكتاب المقدَّس وباصطلاح اللغة العبرانيَّة بل بعادات الشرقيين مطلقاً انَّ اسم الاخ والاخت لا

يُطلق فقط على المولودين عن اب واحد وامّ واحدة بل ايضًا على كلّ من كان من عشيرة وُصلب واحد وخصوصًا اولاد الاعوام. فاذا راجعت مثلًا سفر التكوين (١٤:١٦) ترى لوطًا يُدعى اخا ابرهيم وهو ابن عمه كما يظهر هناك. وامثال ذلك عديدة (راجع تك ١٣:٤ و ٢٤:٢٨ و ٢٩:١٢—١٥ و٢ ملوك ١٠:١٣) فلا ينتج من ذكر الانجيل لاخوة الرب انّ مريم ولدت غير ابن الله

وهنا كان بوسعنا ان نبيّن من الادلّة العقليّة والنقلية بل من نفس الانجيل ان الاربعة (يعقوب ويوسف او يوسي وسمعان ويهوذا) الذين ذكرهم مرقس (٦:٣) باسم اخوة الرب ليسوا في الحقيقة الّا ابناء اعمام غير انّ ذلك يقتضي فصلًا مطوّلًا لا يسمح بايراده هذه المرّة ضيق المكان. ونكتفي بان نحيل القرّاء الى ما جاء في المشرق في ردّه على من زعم بان هؤلاء كانوا اولادًا ليوسف من امرأة غير العذراء (المشرق ٣:٣٨٠ و ٤١٣ و ٥١١) والصواب انهم اولاد حلفا او كلاوبا من مريم المدعوّة بالانجيل (يو ١٩: ٢٥) اخت امّ يسوع (يريد نسيبتها). والسلام

حبيس بحيرة قدس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

١٨

على مسيرة يوم من الشمال الغربي لمدينة حمص مدينة صغيرة تدعى مصياد يقيم فيها ضمن سور قد تخرّب اكثره نحو الفين من الشيعة الاسماعيليّة في منازل واطية حقيرة منفصلة بعضها عن بعض بارض مملوءة من الأنقاض او حقول تبرز فيها بعض اشجار ضئيلة ونباتات حرقتها الشمس. واماّ شوارعها فجميعها ضيّقة كثيرة الاوساخ قلّما يمرّ فيها انسان فهي من المدن التي فارقتها الحياة والحركة من زمان طويل (١. غير انها لم تكن على الحالة التي ذكرنا في ايّام الرواية التي نقصّ الان حوادثها بل انها كانت حاضرة الاسماعيليّين ومقامًا لاميرهم (٢

على انّ هؤلاء الذين قبضوا من قبل منتي سنة على ازمّة السيادة المطلقة بلا منازع

١) راجع رحلتنا الى بلاد النصيريّة ٢) ياقوت والدمشقي والقلقشندي

في جبل اللكام ووادي العاصي كانت قد تقلّصت سطوتهم من الاماكن المذكورة حيث كانوا قبلًا يحالفون تارةً ملوك الشرق وتارةً يعادونهم ذهابًا مع اهواء سياستهم. ولم يكن رؤساؤهم يشبهون في شيء امراءهم القدماء الذين كانوا يعدُّون انفسهم مستقلّين ويضيفون الى اسمائهم لقبًا يضيفونهُ الى « الدنيا والدين » مع انَّ لقبًا كهذا لا يليق الّا بالملوك (١ وحدهم وبالنظر الى تحصنهم في قلاع حريزة لا تُرام مثل مصياد والرصافة والخوابي والكهف والمنيقة والقدموس والعليقة استمرُّوا على معصية الخلفاء والسلاطين مدّة طويلة حتى رهبهم الشرق كلهُ وخاف تعدّياتهم وهجماتهم (٢

ولكن السلطان بيبرس اتصل اخيرًا الى قهرهم ووضع حدٍّ لسلطتهم فاستولى على مصياد وسائر القلاع التي تخصّ هذه الشيعة. وقد أثمر فيهم تأديبهُ ثمرًا نافعًا لانهم من ذاك الوقت صاروا اطوع لسلاطين مصر من بنانهم فكانوا يستخدمونهم في كل المهمّات الصعبة نظرًا لما عُرفوا بهِ من الشجاعة والاقدام (٣. وكان الاسماعيلي (او الفداوي كما جرت العادة قديمًا بتسميتهِ) قبل ان يذهب في احدى هذه المهمّات الخطرة التي قلّما يعود منها يتناول ثمن دمهِ فاذا اتفقت لهُ العودة كان الثمن لهُ والّا رجع الى عيلتهِ (٤ ثمّ ان سلاطين مصر كانوا يستخدمون الاسماعيليّين كمتّال سرّيين لهم فلذلك كان المذكورون مطّلعين على خفايا السياسة وغوامضها

وفي الشمال الشرقي من مدينة مصياد قلعة ضخمة قائمة على صخر مرتفع عن الارض بضعة امتار ومنحوت نحتًا عموديًّا لزيادة انحداره الطبيعيّ ورغبةً في جعل القلعة منفصلة عن كل ما سواها تام الانفصال. وكانت للقلعة أسوار ثخينة مرتفعة مبنيّة من حجارة سمراء ولها بالمقابلة الى خضرة جبل اللكام منظر يأخذ بمجامع القلب فلا يتمالك الناظر الّا ان يشبهها بحيوان ضار متجمّع على نفسهِ كأنهُ يحرس ذاك الوادي الخصيب وادي العاصي حياةَ سوريَّة الشرقيَّة وروحها المنعشة

وفي داخل القلعة بعد ان تجوز البوَّابة المعقودة بالحجارة ترى طريقًا واسعًا ذاهبًا صُعُدًا يؤديك وانت راكب الى الطبقات المختلفة. وعلى اليمين والشمال غرف فسيحة لسكنى الامير وعيلته مع مساكن عديدة لاقامة الحامية. هذا هو المحل الذي اتخذهُ

١) مجموع الكتابات العربية لِفان بركم
٢) المقريزي
٣) القلقشندي
٤) ابن بطوطة والدمشقي

رؤساء الشيعة الاسماعيليّة مقاماً لهم من قديم الزمان (١

. . . .

ففي ذات يوم من ايام الخريف وفــد صباحاً راهب من دير حصن سليمان فارتقى درج السلّم المنقورة في الصخر المؤدية الى مدخل قلعة مصياد. والظاهر ان وجود راهب في هذه المدينــة الصغيرة كان من الامور الخارقة العادة لانهُ كيفما سار كان يتبعهُ موكب عظيم من الاولاد ليتفرَّجوا على ملابسهِ التي لم تسبق لهم رؤيتها

ولمَّا وصل الراهب الى باب القصر ابى الحرَّاس ان يأذنوا لهُ في الدخول فسألهم ان يستأذنوا من الامير ويقولوا لهُ ان الاب جومانوس يريد مقابلتــهُ فما كاد يطرق اذن الامير هذا الاسم حتى امر بادخالهِ دون تأخير وحينــئذٍ اوضح الراهب بوجيز الكلام غايتهُ من زيارة الامير الموما اليهِ ولا شك انَّ القارئ يفطن ان هذه الغاية متعلّقة بالاب يوحنا

امَّا الامير الذي ما زال حافظاً عاطفة الامتنــان للاب المذكور على مداواة ولدهِ وشفائهِ فلم يقوَ على كظم غيظهِ من سلوك جوسلين. ثمَّ انهُ طيَّب خاطر الاب جومانوس ووعدهُ بالتفتيش عن الاب يوحنا والتنقيب عن مكان وجودهِ وفي الوقت نادى احد الجند قائلاً لهُ:

تذهب اليوم الى القليعة وتنخرط ما بين جنود جوسلين وتسعى جهد امكانك لمعرفة المكان الذي نُفي اليهِ الاب يوحنا فاسرع اذاً في الذهاب ولا ترجع الَّا بعد ان تقوم بهذا الامر الذي يهمُّني نجاحهُ جدًّا

— سمعاً وطاعةً يا مولاي. قال الجندي هذا الكلام وقبَّل ذيل ثوب الامير وسافر وفي اليوم التالي وصل الى قصر القليعة وتظاهر بانهُ شيعيٌّ من متاولة الهرمل وسأل قبولهُ في خدمة جوسلين الذي لمَّا كان راغباً في تكثير الجنود عندهُ لحماية قصرهِ ورأى في الاسماعيلي المتنكر رجلاً مفتول العضل طويل القامة بادر سريعاً الى قبول الطلب بكل رضى وهشاشة

وما اقام هذا الغريب طويلاً مع الجنود الحامية لقصر القليعة حتى اكتسب مودَّتهم

١) المجلة الاسيويَّة سنة ١٨٧٧ و١٨٩٧ ورحلتنا الى جبال النصيرية

وبينا هو يخوض في الحديث معهم ذات يوم اخبرهُ احدهم انهُ كان في جملة الذين رافقوا الاب يوحنا الى منفاه الجديد وبعد قليل من الكلام عرف انهُ نُفي الى جزيرة بحيرة حمص. فاكتفى بما سمع ولم يزد في السؤال

وفي الليلة التابعة أُقيم الاسماعيلي خفيرًا على البرج المطل على مدخل القصر ولم يكن في الجهة الأخرى المقابلة سوى جندي واحد سهران على الحفارة. فلمَّا انتصف الليل ترلَّج الاسماعيلي بواسطة حبل دلَّاهُ على اسوار القصر وسار حتى وصل الى عين الشمس وذهب الى شيخ القرية وطلب منهُ فرسًا فتمنع الشيخ في بادئ الامر ولكن لمَّا عرف انَّ الطالب فداويٌّ من اتباع صاحب مصياد سارع الى قضاء كل مطاليبهِ

فلما صار الاسماعيلي المذكور في ظهر فرسهِ جدَّ محضرًا حتى قطع المسافة التي كانت تفصلهُ عن بحيرة قدس باسرع ما يكون من الزمان واستفهم من الاهالي المقيمين بقربها عن الاب يوحنا وبعد ان تأكَّد وجودهُ هناك عاد الى مصياد مخبرًا اميرهُ بنجاح مهمَّتهِ

امَّا الامير فانهُ نادى في الحال احد الفداوية وامرهُ ان يسير الى جزيرة بحيرة قدس حاملًا رسالة منهُ الى الاب يوحنا وقد قال لهُ في الرسالة المذكورة انهُ مسرور جدًّا لكونهِ يستطيع ان يقدّم لهُ خدمة نافعة فعليهِ ان يتبع الرجل الذي يسلّمهُ الرسالة ويأتي بهِ الى مصياد او الى اى موضع آخر يعيّنهُ لهُ. واما الخفراء فانهم لا يتعرَّضون لهُ اصلًا متى عرفوا أن امير مصياد يطلبهُ

وعند ما وصل الفداوي الى جزيرة البحيرة واطلع الاب يوحنا على قصدهِ رأى من الاب المذكور مقاومة غير منتظرة فاجتهد ان يقنعهُ في مغادرة سجنهِ فأبى وكان غاية ما طلب من امير مصياد ان يسهل للاب جرمانوس زيارتهُ المدَّة بعد المدّة

١٩

كان الخفراء الذين عُيّنوا لحراسة الاب يوحنا يشدّدون المراقبة كثيرًا في بادئ الامر فما كانوا يأذنون للزوارق ان تقترب من الجزيرة التي حُبس فيها ولكنهم ما لبثوا ان تراخوا بعد مرور بضعة اشهر لمَّا رأوا اهتمام امير مصياد بشأنهِ وعدم احتيال السجين في وقت من الاوقات على الفرار فضلًا عن ان الاسقام والآلام الطبيعيَّة والادبيَّة كانت

قد اضعفتهُ كثيرًا وبسببها لازم الكوخ الذي وُضع فيه باعلى محلّ من الجزيرة وقلّما كان يخرج منهُ

وقد سبق الكلام ان الاب جرمانوس اتصل هذه المرّة الى الاطلاع على مكان منفاه فكان ينفح الحقراء بشيء من النقود ويأتي لزيارته مرّة بالشهر في يوم معيَّن

وكان هذا الشيخ البارّ ينتظر اليوم المذكور بفارغ الصبر لا لانهُ كان يتعزّى بمشاهدة اخيهِ وصديقهِ في الرهبانيّة بل خاصّةً لان الاب جرمانوس كان يحمل اليهِ في حقّ من الفضّة جسد الرب الذي يقوّيهِ على احتمال مكاره منفاه بعد ان كان قد حُرِم تلاوة القدّاس الالهي من نحو ستة. وهذا هو السبب الذي من اجلهِ كان يشتاق لزيارتهِ ويحسب سلفًا الأيام التي تفصلهُ عنها. وكان اذا حلّ يومها يخرج باكرًا من كوخهِ الضيق ويجلس على حجر هناك متطلّعًا في الافق لعلّهُ يشاهد من تاقت اليهِ نفسهُ. وفي ما خلا اليوم المذكور لم يرهُ الحقراء قط في خارج كوخهِ بل انهُ كان يعاني معيشة الحبساء بكامل معناها حتى يمكن القول عنهُ انهُ دُفن حيًّا في محبسهِ

وجاء موعد زيارة الاب جرمانوس فأقام الشيخ القديس ينتظرهُ على غير فائدة ومرّ الصباح مع جانب عظيم من المساء ولم يأتِ احد يعكّر صفاء وحدة السجين. ثمّ ابتدأ الليل نازلًا من اعلى الجبال حيث تنتصب تلك القلعة السوداء قلعة حصن الأكراد. وكانت الشمس قد احتجبت وما عاد يُرى منها سوى انعكاسات ورديّة تجوز في تضاعيف السحاب تاركةً لها حواشي واهداباً ارجوانيّة وذهبيّة. وفي الجانب الآخر من الفلك ظهر القمر مصفرًّا حزينًا فوق رمال صحراء تدمر الموحشة. وكانت الطيور قد كفّت عن التغريد وما بقي سوى العصافير في الاشجار متنازعة باعلى اصواتها على افضل الاغصان لمبيتها. وبدأت الخفافيش وتنشر تخرج من مكامنها طائرةً في الجوّ ما بين ربوات من الحشرات المجنحة. وكان ذلك في مساء يوم حارّ من شهر ايلول

غير ان الاب جرمانوس ما ظهر لهُ اثر وباطلًا كان الاب يوحنّا يحدّق بعينيهِ الضعيفتين في الافق... فانهُ ما كان يشاهد غير القفر الموحش.. وكان كل دقيقة يُخرج رأسهُ من نافذة الكوخ ناظرًا الى مياه البحيرة وضفافها والاراضي المحيطة بها ويحبس نفسهُ متسمّعًا ويتخيَّل في بعض الاحيان انهُ يسمع صوت مجذاف يضرب سطح الماء.. وما كان ذلك في الحقيقة سوى زفير الامواج التي تتكسّر على الشاطئ. نعم كانت العصافير تزقزق

والخفافيش تطير في كل ناحية غير انهُ لم يكن شي٠ على وجه البحيرة سوى بعض من البطّ كانت تذهب لتبيت بين القصب النابت على ضفة البحيرة

ولما سئم الشيخ القديس من الانتظار اخذ يسأل نفسهُ عن عاقة الاب جرمانوس. ثم اطبق كتاب صلواته قائلاً: ان هذا اليوم هو موعد قدومهِ فهل أُصيب يا ترى بنكبة في طريقــهِ أو هل اضطرم غيظ مضطهديّ عليه ؟. ثم خرج متوكئاً على عصاهُ وسار بخطىً مرتجفة اثقلها وقر السنين متوجهاً نحو الشاطئ فاقام يتطلّع بامعان فما شاهد شيئاً فنادى فما كان غير السكوت جواباً لندائهِ فأفعم فؤادهُ حسرةً وغمّاً وصرخ قائلاً ربّي والهي ماذا جرى ؟ اني صابر بكلّيّة قلبي على ما اقاسي من الآلام والاضطهادات التي صارت نصيباً لي منذ سنوات ولكن اسألك ان لا تسمح بانْ يقاسيها غيري لاجلي

(ستأتي البقيّة)

نيل الآمال في الرحلة الى قطب الشمال

للاب لويس دي أنسلم اليسوعي مدرّس التاريخ في كليّة القديس يوسف

كان اجدادنا يعدّون الرجل شديد البأس قويّ المراس. اذا ما باشر سفر خمسين ميلاً بعيداً من مسقط الرأس. وكان الراحل اذ ذاك يقرئ الاحباب وداعاً. لم يكد يرجو من بعدهِ اجتماعاً. امّا اليوم فقد تغيّرت الاحوال. بتوفُّر وسائل الانتقال. واضحى السفر الى اقاصي المعمور من اسهل ما ينال. فكم نرى من رحّالة يطوي البيد والصحار ويطوف البلاد والاقطار ويمخر غمار البحار فلا يقرّ لهُ قرار حتى يرى رأي الابصار. ما جمعهُ الله في ارضهِ من العجائب وكنّهُ من الاسرار. واذا عاد الى الاوطان اسرع الى وصف رحلتهِ وتدوين ما جرى لهُ من الاخبار

هــذا وقد كان بقي لآكل عصرنا في بعض مجاهل افريقية ومفاوز اميركة وصرود آسيّة واقاصي اوقيانيــة بلاد لم يعرفها العلماء حقّ العلم فقام رجال متاديم صارمو القلب اثبــات الجأش وتجشّموا المخاطر وخاضوا غمرات الاهوال حتى فازوا بالآمال وعادوا غانمين وفتحوا لاخلافهم طرقاً نهجوها بعدهم فوقفوا على سرّ تلك البلاد وتبطّنوا احوال قومها

ولمّا لم يبقَ لصناديد القوم بلدٌ لم ترسخ فيه قدمهم طمحوا بالابصار الى انحاء لم يسكنها ديّار ولا نافخ نار ألا وهي جهات قطبَي الارض شمالًا وجنوبًا. وانهُ لغنيٌّ عن البيان انَّ القطب المحوَر الوهمي الذي تدور حولهُ كرتنا دورًا تامًّا في كل اربع وعشرين ساعة. فطرفهُ المواجه للشمال يُدعى القطب الشمالي يقابلهُ من الجهة الجنوبية القطب الجنوبي. امَّا الجهات التي تحدق بهذين القطبين فهي تُعرف بالاراضي او البحار القطبية وهي كلها مغطّاة بالجليد الكثيف لشدَّة بردها وقلّة نصيبها من حرارة الشمس في قسم كبير من السنة. وليس الصيف فيها اقلّ خطرًا من الشتاء. لانَّ قطع الجليد الضخمة تتساقط من اعاليها او تدحرها المجاري البحريَّة فتصدم السفن التي تتجاسر وتبلغ تلك الجهات بعد الجهد الجهيد فتحطّمها او تحدق بها فتحبسها وتمنعها عن المسير. ولذلك لم يجسر احد قبل هذه السنين ان يخاطر بنفسهِ ويتهوَّر في هذه المهالك فضلًا عن ان تلك الانحاء لا نبات فيها يؤكل ولا حيوان يمكن صيدهُ اللهمَّ الَّا بعض الاسماك تدفعها المياه فتصل اليها مكرهةً

والعلماء يقدّرون انَّ بين القطبَين مع شبههما في قرس البرد وكثرة الجليد فرقًا كبيرًا فيرتأون انَّ القطب الشمالي بحرٌ متجمّد تحدق بهِ سواحل اميركة وآسية. امَّا القطب الجنوبي فيرجحون بعكس ذلك أنَّهُ برٌّ متجمّد تصدمهُ امواج البحار الجنوبية فتلتقي على سواحلهِ قطع الجليد من كلّ صوب فتسوّرهُ بسور لا يتجاوز حدودهُ بشر

لكنَّ الانسان طُبع على الإقدام وهو يرى ان الارض كلّها ملكهُ فلا يحسن بهِ ان يدع منها قسمًا دون ان يسرّح فيهِ طائر نظرهِ فمن ثمَّ اراد ان يطوّح بنفسهِ ولا ينكص راجعًا حتى يفوز بالمرام. وفي هذه اللمعة الموجزة نبيّن مساعي هؤلاء المغاوير الذين ركبوا التهالك ليزوروا القطب الشمالي. امَّا القطب الجنوبي والاسفار اليهِ فترجئهُ الى مرَّة أخرى ان شاء الله

وقبل ان نورد بالتلخيص تاريخ الرحلات الشمالية لا بدَّ ان نقدّم للقارئ لمحةً عن جغرافية البلاد المجاورة للقطب الشمالي المؤدّية اليهِ فنقول:

انَّ القطب الشمالي تكتنفهُ سواحل العالم القديم والعالم الجديد على مثال اكليل او حلقة لا تكاد ترى في اتصالها انفصامًا الَّا من جهتين اعني جهة الاوقيانوس الباسيفيكي

حيث ترى بوغاز بيرنغ الفاصل اميركة وآسية وجهة الاوقيانوس الاتلنتيكي بين اميركة واوربة والفرضة بينهما اوسع

اما المسافة الواقعة في هذه الدائرة الكبرى فتشغلها البحار والجزائر القطبية التي لا يعرف منها الّا شواطئها الجنوبية . منها ارخبيل السبتزبرغ وزمبلة الجديدة وبرّ فرنتز جوزف وجزائر لياكور واورنجل (Wrangell) وارخبيل سيبرية الجديدة وفي شمالي اميركة ارخبيل باري (Parry) وبرّ بافين وبرّ غرانت (Grant) وبوغاز داڤيس والغرونلند ذات الجبال الشامخة التي تعلو فوق سطح البحر نحو ٢٠٠٠ متر وعلى قمة هذه الجبال وجوانبها سطوح كثيرة من الجليد يمسّ البعض منها سواحل تلك البلاد ولا يتخلّلها الّا غابات قليلة من الشربين والسنديان في منعطف الوديان

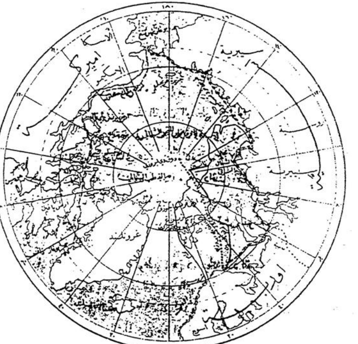
فتلك هي البلاد الشمالية التي حاول ارباب الاسفار ان يبحثوا عن اسرارها المكنونة ولم يزالوا في تقدُّم متواصل حتى بلغوا اليوم العرض الواقع في الدرجة ٨٦ ونصف فلم يبقَ لهم لبلوغ القطب سوى ٤٠٠ كيلومتر بل اقلّ

وكان اهل اسوج ونروج منذ القرون الوسطى استولوا على اسلندة والغرونلند واللبرادور فامتدَّت النصرانية الى تلك البلاد وقد مرَّ في المشرق (٢ : ٢٨٧) انهُ كان اساقفة للغرونلند في القرن الثاني عشر . ولمَّا كانت سنة ١٤٩٧ اجتاز لاوَّل مرَّة الرحَّالة البندقي سبستيان كابوت (S. Cabot) بوغاز داڤيس . وفي القرن السادس عشر تمكَّن الاخوان الانكليزيّان كورتريال ان يبلغا مدخل بحر هودسن ثمَّ تبعهما داڤيس فدقَّق البحث عن البوغاز المعروف باسمهِ . واكتشف في ذلك الوقت الهولنديّ بارنتس ارخبيل السبتزبرغ وبلغ زمبلة الجديدة

وفي القرن السابع عشر استوطن اهل دنيمرك بلاد الغرونلند واكتشف هُدسون على البحر الذي سماهُ باسمهِ وكذلك بلغ بافين ترعة سميث (canal de Smith) في مدخل بحر بافين . وفي السنة ١٧٤٢ جعل اهلُ الثروة جزاء قدره ٢٠٠٠٠ جنيه لمن يجد معبرًا بين اميركة والقطب الشمالي من جهة الشمال الغربي . فاشتهر حينئذٍ قومٌ من الرحَّالين كباري وروس (Ross) ويوحنَّا فرنكلين فاكتشفوا الاكتشافات المهمَّة لكنهم لم يطلعوا على المجاز المذكور وقد بقي سرّ هذا المعبر مكتومًا الى سنة ١٨٥٣ فاكتشفهُ ماك كلور (Mac-Clure) وكلّت (Kellet)

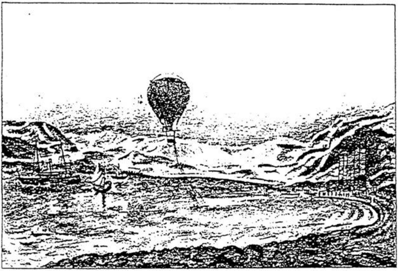
فما عُرف خبر هذا الاكتشاف في اوربة حتى شمَّر عن ساعد الجدّ قومٌ معرفون برباطة الجأش وجُرأة المُقدَم كانغلفيلد (Inglefield) وكان (Kane) سنة ١٨٥٣ وهايس (Hayes) ١٨٦٠ وهــال (Hall) ١٨٧١ ومارِس (Mares) ١٨٧٥ واسرعوا قاصــدين القطب الشمالي توًّا بينما كان الاسوجي نُرْدنسكيولد (Nordenskiold) يخترق لاول دفعة الممرّ الواقع بين سيبرية والقطب

لكنَّ الذين برَّزوا بشدَّة إقدامهم وبلغوا ما لم يبلغهُ غيرهم ثلاثة من كُماة الابطال



خارطة القطب الشمالي

اشتهروا في العشر الاخير من القرن المنصرم اعني الاسوجيَّين نانسن (سنة ١٨٩٣) واندره (١٨٩٦) ثمَّ الدوق دي ابروزة (١٩٠٠) احببنا ان نلخّص اخبار سفرهم ونبيّن غيرتهم على خدمة العلوم ورغبتهم في اكتساب السمعة الطيّبة



مركبة اندره الجوّية

أبحر نانسن على سفينة تدعى فرام (Fram) فساقها الى رأس الشمال وسار محاذيًا سواحل سيبرية حتى ادرك جزائر لياكوف ومنها يمّم القطب على خط مستقيم فبقي سنتين لا يألو جهدهُ ولا يكفّ سعيهُ للفوز بالمرام. ولمَّا حبس الجليد مركبهُ وقلّ زادهُ ونفدت مؤونتهُ برح ذاك البطل الهمام سفينتهُ في ١٤ من اذار سنة ١٨٩٥ بعد ان بلغت به الدرجة ٨٤ من العرض. ثمَّ اختار لهُ رفيقًا يشبههُ بسالةً وحزمًا يوهنسن ملازمهُ فركب كلاهما المزالق تقودها الكلاب ومعهم من الزاد ما يكفيهم ١٢٠ يومًا فساروا على الجليد سيرًا حثيثًا وكانت المصاعب تشتدّ بقدر ما يجريان الى الامام. فبعد اللتيا والتي قطعا بين جبال الجليد ٢٠٠ كيلومتر فادركا الدرجة ٨٦ والدقيقة ١٢ بحيث لم يبقَ

بينهما وبين القطب الشمالي سوى ٤٠٠ كيلومتر

وكانت عزيمتهم مع ذلك لم تضعف غير انَّ خوَر القوى ونفوذ الزاد اضطراهما الى الرجوع القهقرى فرجعا بعد شقّ النفس الى برّ فرنتس جوزف وفيهِ وجدا مركبًا اقلّهما الى رأس الشمال فما بلغاهُ حتى رأيا سفينتهما فرام دركَّابها وكانت الرياح وقطع الجليد ساقتها الى برّ فرنتس جوزف وكانت بعثة الرحالة الانكليزي جكسن نازلة في تلك الجهات فلمَّا نظروا سفينة نانسن ساروا بها الى رأس الشمال حيث وجدها صاحبها بعد عودتهِ

امَّا الاتعاب والهموم والمخاطر التي دهمت نانسن في مدَّة رحلتهِ هذه فحدّث عنها ولا حرج. فان البرد القارس اذاقهُ مرّ العذاب. وكان انفرادهُ في هذه المفاوز المتجلدة وامتداد ظلمات ليل لا يقلّ طولهُ عن ستَّة اشهر وضروب السأم وقطعهُ الرجاء من وجود احياء يمدُّون اليه يد المساعدة كلُّ ذلك اكسف بالهُ واضاق ذرعهُ لكنَّهُ تجلد لهذه الضيقات وقابلها بقلب اشدَّ من الصخر واعدَّ نفسهُ سعيدًا اذ اكتشف طريقًا جديدة للقطب الشمالي وهي طريق مجرى المياه وقطع الجليد الجارية بقوَّة الرياح وموقع هذه الطريق شماليّ برّ فرنتس جوزف سائرةً من سيبرية الجديدة الى الغرونلند

وممَّا حدث لسفينة نانسن قبل ان يعود اليها الرحَّالة انَّ الرياح كانت جرت بها الى جزيرة الدنيمركيين ثمَّ احاطت بها قِطَع الجليد فحبستها ايَّامًا طويلة حتى كادت تتلفها. غير انَّ البحَّارين تمكَّنوا بعد شقّ النفس من فك اغلالها وسوقها الى شواطئ السبتربرغ بقرب جزيرة الدنيمركيين. وبينما كانوا يخرون عُباب البحر اذا بسفينة كبيرة لاحت لهم عن بُعد يخفق فوقها علمُ وطنهم النروج فتقرَّبوا منها واذا هي السفينة ڤِرڠو (Virgo) تقلّ البعثة العلميَّة التي يترأسها السفار الشهير المهندس أندره الاسوجي وهو سائر الى القطب الشمالي ولكن على طريقة جديدة وهي طريقة الهواء اي راكبًا بمركبة جويَّة. فتبادل اهل السفينتين عبارات الولاء وتجاذبوا الحديث مليًّا وشرب اندره نخب نانسن وتمنى لاصحابهِ ان يروهُ عمَّا قليل سالمًا ثمَّ سارت كلٌّ من السفينتين في طريقها

فلندعنَّ الآن نانسن وسفينتهُ ولنصرفنَّ النظر الى اندره وبعثتهِ. فانهُ بعد وداع اصحاب زميلهِ مال بمركبهِ الى جهة الشمال وترل عند الدرجة ٨٠ في جزيرة الدنيمركيين واوَّل ما باشر فعلهُ انهُ ابتنى لهُ سقيفةً واسعة جعل منطادهُ ضمنها ليجهزهُ ويعدهُ لصعود الجوّ. لكنَّ الانواء والرياح الماكسة التي ثارت تلك السنة حالت دون مرامهِ فاضطرَّ

الى تأجيل مشروعهِ الى العام التالي حيث وافقت الرياح مرغوبهُ

فلمّا كان اليوم ١١ من تموز ١٨٩٧ في ضحى النهار حضر اندره ورفيقاهُ سترندبرغ (Strindberg) وفرنكِل (Fraenkel) صلاةَ الأحد وبعد وداعٍ مؤثر للبحّارين واصحاب البعثة العلميَّة الذين رافقوهم الى جزيرة الدنيمركيين ركب الثلاثة سفينتهم الهوائيَّة فما استووا فيها جالسين حتى امر اندره البحارين ان يقطعوا حبال المركبة ففعلوا فتصاعد المنطاد في اعالي الجوّ الى وجهة القطب الشمالي

امَّا البحارون واهل البعثة فلمَّا رأوا اصحابهم الثلاثة في الهواء رفعوا بعقيرتهم وسلَّموا على اولئك الابطال سلامًا اخيرًا واسرع البعض ووجَّهوا الى صوبهم آلة التصوير واخذوا رسمهم (راجع الصفحة ٥١٧)

امَّا الكرة الهوائيَّة فكانت تتهادى في الجوّ وتعلو شيئًا فشيئًا الى ان خطفها بُعدها عن عيان الناظرين وتوارت خلف الجبال. وكانت سرعتها في بدء صعودها ٣٥ كيلومترًا في الساعة بحيث لو سارت الى القطب دون عائق لادركتهُ بعد يومين...

ألا انَّ الايام والاشهر والسنين قد مرّت مذ توارى منطاد اندره دون ان يُسمع لهُ ولرفيقيهِ من خبر... فلا مراء انهم ذهبوا ضحايا حبهم للعلم والبحث عن مكنون خفايا الكون. ولعلَّهم كانوا عادوا غانمين لو عرفوا قوانين مهبّ الرياح القطبيَّة واختلاف وجهاتها الّا ان ذلك لا يزال سرًّا مكتومًا

وآخر من اشتهر في الرحلة الى القطب الشمالي ابن اخي همبرت ملك ايطالية السابق وابن عم الملك فيكتور عمانويل الثاني وهو المعروف بدوق دي ابروزي فان هذا الامير في مقتبل الشباب احبَّ ان يجاري نانسن واندره في شهرتهما فركب في منتصف حزيران من سنة ١٨٩٩ سفينةً تدعى « نجمة القطب » نقلتهُ ورجالهُ من مرفإ كريستيانيا عاصمة النروج الى جهات القطب. وكان قسَّم بعثتهُ الى ثلاثة اقسام جعل كلّ قسم في مركب وربط المراكب الثلاث بعضها ببعض. فابحر الى مدينة اركنجل على سواحل روسيا ومنها الى جزيرة فرنتس جوزف وترك هناك قسمًا من رجالهِ مع ما يحتاجون اليهِ من الزاد ثمَّ واصل سيرهُ حتى بلغ بسفينتهِ الى الدرجة ٨٢° ومعهُ ٩ رجال و ١٣ مزلقة و ١٦٠ كلبًا

لكنَّ الجليد تقوَّى عليها واتلف قسمًا منها فاضطرَّ الدوق الى ان يبارحها ويخيّم

على الجليد زمنًا طويلًا الى عيد الميلاد وكان في اثناء ذلك يبحث عن احوال تلك البلاد كبردها وحرارتها ورياحها وانوائها وقوّتها المغناطيسيَّة وطبائع حيواناتها واسماكها ومجاري بحارها

ثمّ ركب المزالق مرارًا واركبها رجالهُ فبعد المشاقّ والاخطار عاد ولم يبقَ معهُ الّا ثلاثة رجال و ٦٠ كلبًا وكان قضى في تلك الجهات ١٠٤ أيام وكان تقدّم في مسيره الى الدرجة ٨٦° من العرض والدقيقة ٣٣ حتى لم يبقَ بينهُ وبين القطب سوى ٣٥٠ كيلومترًا بالتقريب ففاز بقصب السبق على نانسن الّا انّ يدهُ جلدت فاضطرَّ الى ان يقطع منها اصبعين

وبينما نحن نكتب هذه الاسطر بلغتنا المجلات العلميَّة ان القبطان برنيار (Bernier) صمَّم العزم على السفر الى القطب الشمالي على طوفٍ من المطّاط (الكاوتشوك) ثمَّ يركب مزالق تقودها ايايل الشمال (rennes) ونحن نتمنى ان هذه البعثة الجديدة تصيب المرمى ويعود رجالها سالمين يطلعون اخوانهم عمَّا اودعتهُ يد الله في تلك المجاهل فيكون اكتشافهم سببًا جديدًا يرقّي بالحاظ البشر نحو رب الطَّبيعة ويزيدهم حبًّا نحوهُ

تاريخ فنّ الطباعة في المشرق

نبذة للاب لويس شيخو اليسوعيّ (تابع لما سبق)

فنّ الطباعة في الشام (تابع)

٥ المطابع في لبنان (تتمَّة)

٣ (المطبعة العثمانية) هذه قائمة الكتب التي نُشرت فيها منذ نشأتها على حسب تاريخها:

١ً كتاب لسان غصن لبنان (١٨٩١. ص ٧٠) = ٢ً الجزء الاول من البصائر النصيرية في المنطق (١٨٩١. ص ١٦٠) = ٣ً كتاب انَّة الرثاء (١٨٩١. ص ٥٠) = ٤ً سحر العيون (١٨٩٤. ص ٢٦٣) = ٥ً شذور العقيان في تعريط جريدة لبنان (١٨٩٤. ص ٧٩) = ٦ً المنهاج القويم وهو سلَّم القراءة العربية. ثلاثة اجزاء (١٨٩١. ص ١٦٠) = ٧ً التليد والطريف لجناب ابرهيم بك الاسود (١٨٩٢. ص ٥٥) = ٨ً الكتابة بحث تاريخيّ ادبيّ للاديب عيسى اسكندر معلوف (١٨٩٥. ص ٨٤) = ٩ً فلسفة الزواج لالياس افندي خليل تويني (١٨٩٥. ص ١٢١) = ١٠ً لمحة في ترشيح الماء لفيليب افندي مسك (١٨٩٥. ص ١٦) = ١١ً منهج

الصواب في علم الحساب جزءان (١٨٩٦. ص ٣١٠) = ١٢ً الجزء الاول من ذخائر لبنان (١٨٩٦. ص٤٢٥) = ١٣ً الخطابة (١٨٩٦. ص ١٤) = ١٤ً الراعي الامين (١٨٩٦. ص ١٨٩) = ١٥ً قصة الامير عاس الكناني (١٨٩٦. ص٦٤) = ١٦ تعليم مسيحي اورثدكسي (١٨٩٦. ص١٠٩) = ١٧ً نفحة الطيب الذكيَّة (١٨٩٦. ص٣٢٨) = ١٨ً الدليل المفيد للعالم الجديد لسجمان افندي عارج سماده (١٨٩٦. ص ٣٤٩) = ١٩ً آثار الاحزان في رثاء وتأبين المرحوم نقولا افندي نقَّاش (١٨٩٦. ص ٧١) = ٢٠ً تلخيص الحقوق الموضوعة لسادتلو كاظم بك افندي (١٨٩٦. ص ٣٥٨) = ٢١ً الدرّ النظيم في ايضاح عقائد الايمان القويم لمكاريوس متروبوليت موسكا معرَّب عن اليونانية (١٨٩٦. ص ١٩١) = ٢٢ً كتاب نفحة الطيب الزكيَّة في شرح غوامض طقوس الكنيسة الاورثدكسية جمعهُ الخوري نقولا يوحنَّا ايوب الناصري (١٨٩٦. ص ٣٣٧) = ٢٣ً الخلاصة الشهيَّة تعليم مسيحي (١٨٩٧. ص ٣٤٤) = ٢٤ً مختصر التعليم المسيحي (١٨٩٧. ص٣٢) = ٢٥ً رواية تبرئة المتهم بقلم رشيد الحاج عطيَّة (١٨٩٧. ص٩٨) = ٢٦ً خطرات الجنان (١٨٩٧. ص٦٦١) = ٢٧ً الارب من غيث الادب (١٨٩٧. ص١١١) = ٢٨ً العقد النظيم في اصل الروسيين واعتقادهم الايمان القويم لخليل ابراهيم يدس ١٨٩٧. ص١٦٠) = ٢٩ً درّ البكاء في عقد الرثاء (١٨٩٧. ص ١٢٤) = ٣٠ً الشذور الذهبيَّة في المواد الطبيَّة (١٨٩٧. ص٧٦٣) = ٣١ً كتاب آداب البشر في الصغر والكبر للمعلم ميخائيل عبد الله غبريل (١٨٩٧. ص ١٦٣) = ٣٢ً مرآة المعلمين (١٨٩٨. ص ٦٣) = ٣٣ً امّ الواجبات في مختصر الصلوات (١٨٩٨. ص ٦٥٠) = ٣٤ً الروضة المؤنسة في وصف الاراضي المقدَّسة (١٨٩٨. ص ٩٣) = ٣٥ً مراقي الحساب (١٨٩٨. ص ٩٦) = ٣٦ً مرقى المنارة في الحساب (١٨٩٨. ص٨٨) = ٣٧ً صدى الوطنية (١٨٩٨. ص ٢٣) = ٣٨ً غريب الدار (١٨٩٨. ص ٧٧) = ٣٩ً كتاب التراتيل الروحيَّة (نقلًا عن طبعتا ١٨٩٨. ص٧٦) = ٤٠ً دليل لبنان (لسنة ١٨٩٨. ص ١٠٤ ولسنة ١٩٠١. ص٩٦) = ٤١ً العقد الثمين في تربية البنين لخليل افندي يدس (١٨٩٨. ص ٢٢٨) = ٤٢ً أقرب الوسائل الى انشاء الرسائل لرشيد افندي عطيَّة (١٨٩٨. ص٢٣٠) = ٤٣ً المختار من رسائل ابي اسحاق ابرهيم الصابئ نقَّحهُ وعلَّق حواشيهُ الامير شكيب ارسلان (١٨٩٨. ص٣٢٨) = ٤٤ً مغني اللبيب عن الطبيب للدكتورَين داود أبي شعر وامين ابي خاطر (١٨٩٨. ص٤٩٤+١٦) = ٤٥ً مجاني الدرر لكُتَّاب القرن التاسع عشر لجامعهِ يوسف افندي صفير (١٨٩٨. ص ٢٧٣) = ٤٦ً فاكهة الالباب في تاريخ الاحقاب للخوري بطرس شاعر (١٨٩٨. ص ١٦٦) = ٤٧ً النظم الجميل في الشكر الجميل (١٨٩٨. ص٣٢) = ٤٨ً الرحلة الامبراطورية (١٨٩٨. ص٢٢٠) = ٤٩ً فلسفة البلاغة لجبر افندي ضومط (١٨٩٨. ص ١٦١) = ٥٠ً ديوان الابيوردي. نشرهُ وناظر طبعهُ السيد عبد الباسط افندي الانسي (١٣١٧. ص ٣٨٢) = ٥١ً دليل المربى اللبناني (١٨٩٩. ص ١٦) = ٥٢ً المنَّى (١٨٩٩. ص٤٠) = ٥٣ً السمر في قضاء اوقات السهر (١٨٩٩. ص٩٦) = ٥٤ً كتاب الفروض والمواعظ والآداب (١٨٩٩. ص٨٠) = ٥٥ً فرائد الفوائد (١٨٩٩. ص ٢٨) = ٥٦ً تربية دود القزّ لاسبر افندي شقير (١٨٩٩. ص٤٠) = ٥٧ً مختصر انشاء الرسائل

(١٨٩٩.ص ٨٢)= ٥٨ خدمة القدّاس الالهي عربي يوناني (١٨٩٩ص ١٢٢)= ٥٩ كتاب الارج الزاكي في تهنئة البطريرك الانطاكي جمعهُ الخواجا امين خير الله ظاهر (١٨٩٩.ص ١٦١)= ٦٠ المبين (جزء التلميذ). تأليف العالم الفاضل الشيخ سعيد افندي الشرتوني (١٨٩٩.ص ١١٢)= ٦١ تهذيب الاخلاق للقدّيس يوحنَّا دي لا سال عرَّبهُ بتصرف يوسف افندي صفير (١٨٩٩.ص ٦٦)= ٦٢ مصباح اللاتينيين لتعليم اللغة الفرنسوية لسبع فارس معلوف (١٨٩٩.ص١٨٨)= ٦٣ مختصر التعليم المسيحي للروم (١٨٩٩.ص ١٠٨)= ٦٤ رفع النواهض من اعمال الفرائض (١٩٠٠. ص ١٦)= ٦٥ التعاليم السنية (١٩٠٠.ص ١٧٥)= ٦٦ الشذرة المستظرفة في اصول الفلسفة (١٩٠٠.ص١٤٤)= ٦٧ رواية الشاب الجاهل الكبير (١٩٠٠.ص ٤٨)= ٦٨ المسامرة في اضرار المهاجرة (١٩٠٠.ص ١٦)= ٦٩ مرائي الحكم قانديك (١٩٠٠. ص ٢٧٨)= ٧٠ الآثار العدليَّة لاسكندر افندي عبود (١٩٠٠.ص ٢٨٤)= ٧١ الثغر الباسم في اقبال المواسم (١٩٠١.ص ١٩)= ٧٢ رواية مرآة الوفاء وراموز الادباء (١٩٠١. ص١١٢). هذا الى كتب أُخرى لم نقف على تاريخ طبعها مثل الشبيبة وشرح الصلوات الربانية ونزهة الطلَّاب والحياة الانسانية والسواعية. والمقامة الرومانية والقواعد الاديبة وتاريخ الاقمار الثلاثة وشرح رائض الفرائض واقرار بيلاطس. وبعض روايات تمثيلية ليس في ذكرها كبير فائدة

٤ (المطبعة اللبنانيَّة) كان ظهور هذه المطبعة في عالم الوجود سنة ١٨٩٤ أنشأها في بعبدا جناب الاديب الهمام خليل افندي طنُّوس باخوس وجهَّزها بكل الادوات اللازمة واتَّخذ لها الحروف المعروفة بالاسطنبولية. واخصّ ما يُنشر في هذه المطبعة جريدة الروضة. وقد طُبع فيها كتب قليلة هذا بيان ما نعرف منها:

١ كتاب مشهد الكائنات في الخالق والمخلوقات لخائيل افندي عبد الله غبريل (١٨٩٧.ص ٣٤٢+٣٢)= ٢ كتاب الكنز الثمين في معرفة الصديق الامين للاستاذ جورج عون ابي خرما (١٨٩٧.ص ٤٨)= ٣ مقالات علمية للمرحوم يوسف حبيب باخوس (١٨٩٨.ص٢١)= ٤ كتاب عبادة ماري انطونيوس للخوري يوحنَّا كيرلُّوس الماروني (١٨٩٨.ص ٢٨٠ بحجم صغير)= ٥ كتاب الفاس القاطعة للاصول الباطلة لحضرة الخوري الفاضل بطرس الزغبي النائب الاسقفي على ابرشية قبرس (١٨٩٩.ص ٢٨٠)= ٦ كتاب رياضة الكاهن ترجمهُ عن اللاتينيَّة حضرة الاب الفاضل الخوري اغناطيوس جمجم الماروني (١٨٩٩.ص١٨٠+٤٢)= ٧ الجزء الاوَّل من مختصر تأمُّلات الاب لويس الجسري اليسوعي. تعريبهُ (١٨٩٩.ص ٢٤٠)= ٨ كتاب الدرّ المنتقى لجيد ذوي التُّقى تعريب حضرة القس افرام الديراني (١٨٩٩.ص ٢٨٧)= ٩ كتاب صفي الاحداث للياس افندي طنوس الحويِّك (١٨٩٩. ص١٢٤)= ١٠ كتاب بحث المطالب للمطران جرمانوس فرحات طبعة جديدة (راجع المشرق ٣:١٠٨١)

٥ (مطبعة الارز) ظهرت هذه المطبعة في جونية اول شباط سنة ١٨٩٥ بهمَّة الاخوين الفاضلين والشيخين الاديبين فيلب افندي وفريد افندي الخازن. وقد

استحضرا آلتها الجميلة من باريس. امّا حروفها فمن مطبعتنا ولها ايضاً حروف سريانيّة اصلها من مدرسة الشرفة في لبنان. وفي هذه المطبعة تصدر جريدة الارز لصاحب امتيازها ومنشئها الشيخ فيلبّس افندي. وهذا جدول مطبوعات هذه المطبعة حسب تاريخها:

١ نبذة تاريخيّة في اصل البطريركيّة الانطاكيّة واصل الطائفة المارونيّة بقلم القس يوسف دريان الراهب الحلبي ١٨٩٦. ص ٣٦) – ٢ كتاب التعليم المسيحي لقدس البابا لاون الثالث عشر حين كان رئيس اساقفة تعريب المعلم ميخائيل غبريل (١٨٩٦. ص ١٤٣) = ٣ حياة بطل الدين والتمدّن او تاريخ القائد دي لاموريسيار بقلم الاديب الشيخ سليم خطّار الدحداح (١٨٩٦. ص ١٩٣) = ٤ نابوليون الاوّل والمقابلة بينهُ وبين اعظم مشاهير الرجال. عرّبهُ المذكور من تاريخ تيارس مع نبذة لهُ في المقابلة بين شارل الثاني عشر وبطرس الاول (١٨٩٧. ص٣٧+١١) = ٥ تاريخ الرهبانية الانطونيانية للقس عمانويل البعبداتي (١٨٩٧. ص٥٩٩) = ٦ كتاب الشبيّة في الصلوات اليومية وغيرها بحسب طقس الكنيسة الشرقيّة المارونية للمعلم ميخائيل عبد الله غبريل (١٨٩٧. ص ٣٦٠) = ٧ كتاب الشهر المريمي نقلهُ من الافرنسية الخوري بولس متّى (١٨٩٧. ص١٩٣) = ٨ علاج السلّ والوقاية منهُ للدكتور لويس الخازن = ٩ مثل ما يحدث هناك رواية عرّبها الشيخ فريد الخازن = ١٠ كتاب تنشئة الصغير للخوري كنيب تعريب القس افرام الديراني (١٨٩٩. ص ٢٥٤) = ١١ كتاب المحاماة عن الموارنة وقديسيهم جمعهُ القس افرام الديراني ١٨٩٩. ص ٥٢٠) = ١٢ لمحة الحق في تهانئ غبطة بطريرك الشرق جمعهُ الاديب ابرهيم افندي عقل (١٩٠٠. ص ٢٧٦ + ٤٠) = ١٣ كتاب ابداء النفوس في اخصّ فرائض عامّة الاكليروس للشماس اسطفان ضوه. الجزء الاوّل (١٨٩٩. ص ٤٧) = ١٤ سيرة مار روكس للقس سمعان الخازن (١٨٩٩. ص ٤٠) = ١٥ المجمع اللبناني ترجمهُ عن النسخة اللاتينية المطبوعة في رومية سنة ١٨٧٠ سيادة المطران الجليل الفاضل يوسف نجم مطران عكا والنائب البطريركي (١٩٠٠. ص٥٦٢) يلحق بهِ ذيل طويل (ص٢١٨) = ١٦ كتاب الاخويّة المينة الصالحة للاب برون اليسوعي عرّبهُ الخوري نقولا صفير (١٩٠٠. ص٢٢٨) = ١٧ كتاب الدرّ المكنون في جميع انواع الصنائع والفنون جمعهُ فؤاد سمعان الخازن (١٩٠٠. ص٤٧) = ١٨ كتاب تاريخ الكنيسة المارونية. ظهر في هذا الاسبوع. هذا الى كتب أُخرى وكراريس لم نطلع عليها. ومنها ما هو تحت الطبع كالمحاش وقسطاس الاحكام وتاريخ جان درك نذكرها عند نجازها

٦ (المطبعة الشرقيّة) هذه المطبعة حديثة الوجود ظهرت في العام الماضي في الحدث بهمّة صاحب امتيازها الفاضل عبود افندي ابي راشد والخواجا انطون كنعان صاحب المكتبة الشاملة وقد احضرا لها مطبعة من معمل الوزه (Alauzet) مع آلات غيرها وجهّزاها باجناس الحروف العربيّة والافرنجية. وهي مع حداثة نشأتها غاية في الاتقان. دونك بيان كتبها:

١ الكلام الحي. للمطران الجليل جرمانوس معقد. طبعة ثانية أُضيف اليها بعض رسائل المؤلف

(١٩٠٠ . ص ٢٠٤) = ٢ً الجامعة الكيماوية. تأليف سمعان تيان (١٩٠١ . ص٨٤) = ٣ً الاقوال الجوهرية في المواد الادبيَّة. للاخ جبرائيل مارياً الحلبي المرسل الكبوشي (١٩٠١ . ص ٤٧) = ٤ً قطف الازهار من ربى الاخيار · للقس رافائيل جبري السرياني (١٩٠١ . ص ٢٦٠) = ٥ً وتحت الطبع كتاب رحلة الفيلسوف الروماني يتضمن سيرة المسيح للبطران جرمانوس معتد. صفحاته تنيف عن سبمائة صفحة

انتهى ما لخَّص تاريخ المطابع في لبنان يُضاف اليها مطبعة الصفا التي نُقلت الى عبيه منذ بضع سنوات وقد مرَّ ذكرها (ستأتي البقيَّة)

مطبوعات شرقية جديدة

كتاب كشف النقاب عن مسائل ضياء الالباب

للاخ ديدكس سنان الحلبي الفرنسيسي

طُبع في مطبعة الارض المقدَّسة للآباء الفرنسيسيين سنة ١٩٠١ (ص ٣٠٠)

كان حضرة الاب يواكيم الدعبول الناصري الفرنسيسي قبل ثلاث سنوات اتحف المدارس بكتاب مطوَّل في الحساب دعاهُ «ضياء الالباب في علم الحساب» (ص ١٨٣) جمع فيهِ اصول هذا العلم وفنونهُ المختلفة على طريقة السؤال والجواب وألحق كل باب بمسائل عديدة لتمرين الطَّلَبة. ولمَّا كان حلّ هذه المشاكل لا يخلو من بعض الصعوبة لاسيَّما في اقسامهِ الاخيرة احبَّ حضرة الاخ ديدكوس سنان متولّي النظارة والتدريس في مدارس الآباء الفرنسيسيين في القدس ان يدَّخر للمعلّمين وقتاً فيفك لهم هذه المعضلات وقد دوَّن حلّها في هذا الكتاب الجديد الذي وسمهُ بكشف النقاب عن مسائل ضياء الالباب. وهو تأليف سهل العبارة قريب المأخذ جليّ الحرف مُشرق الطبع متمّم لكل شروط الكتب المدرسيَّة. ولعلَّ الفائدة كانت اوفر في حلّ بعض المسائل العويصة لو دلّ حضرة المؤلف على طريقة الحلّ بالتفصيل. وكذلك يُستحب في سياق الاعمال ان يُفرد لكل عمل سطرٌ فان من ينظر مثلاً صورة هذه الاعداد مع علاماتها ٣٥+٢٦ =٦١×٦=٣٦٦ — ١٥ = ٣٥١ يظنّ لاول وهلة ان ٣٥ + ٢٦ تساوي ٦١×٦ وان ٦١×٦ تساوي ٣٦٦—١٥ فلو أُفرد لكل عمل سطر زال الالتباس. وهذه الملاحظات تعمّ اكثر كتب الحساب المطبوعة في بلادنا ولا تخلّ في شيء بقدر هذا التأليف ومنافعهِ الجمَّة

ا٠خ

مختصر تأملات روحية للاب الجسري

معرَّب عن اللاتينيَّة بقلم الخوري اغناطيوس جعجع

الجزء الاول . طُبع في المطبعة اللبنانيَّة في بعبدا (١٨٩٩ . ص ٢٤٨ قطع ١٦)

قال حضرة معرِّب هـذا الكتاب النفيس في مقدَّمتهِ: « من طالع هذا الكتاب قدَّرهُ حقَّ قدرهِ وكفى بهِ مدحًا ان مؤلفهُ ذلك البـارع الشهير الاب لويس الجسري سليل الرهبانيَّة اليسوعيَّة » والحقّ يقال ان الاب المذكر فاق اهل عصرهِ بتآليفهِ الروحيَّة التي اثرت في النفوس من نعم الخلاص ما لا يعلمهُ الَّا الله . ولذلك نُقلت كتبهُ من اصلها الاسباني الى جميع اللغات ولم يخلُ شرقنا العزيز من فوائد بعضها . منها كتاب قلائد الياقوت في واجبات الكهنوت الذي طُبع في مطبعتنا الكاثوليكية سنة ١٨٩٠ . الَّا ان تأمُّلات هذا الاب الذي اعلنت الكنيسة سموَّ فضائلهِ ودعتهُ مكرَّمًا قد نالت من الاعتبار ما لم تنلهُ تآليفهُ العديدة . وكان الاب فروماج عرَّبها فطبع منهـا ثلاث مجلَّدات ضخمة في مطبعة الموارنة في حلب . الَّا ان هذه الطبعة قليلة الانتشار في برّ الشام فآثر حضرة الاب اغناطيوس جعجع تعريب ملخَّص هذه التأملات في ثلاثة اجزاء صغيرة لينال من منافعها كلُّ المسيحيين وخصوصًا الكهنة وارباب الدين . فنثني على همَّة المعرِّب ونتمنى لكتابهِ رواجًا بين كل الذين يسمون بامر الآخرة

ETUDE SUR LES ORIGINES DES GRECS MELCHITES

par Evangelos Hid clerc patriarcal de l'Eglise de Jérusalem.

Rome, imprimerie de la Propagande 1901,*pp.*23

بحث عن اصل الروم الملكيين للشماس بشاره عيد

الشمَّاس بشاره عيد شابٌ لاتيني الاصل من قرية « طيبة » تخرَّج اولًا في مأتم دون بلوني في بيت لحم ثمَّ عند الآباء الصهيونيين في القدس ومنذ بضع سنوات تحوَّل الى الطقس اليوناني الملكي وهو اليوم يتمم دروسهُ في مدرسة القديس اثناسيوس في رومية وفيها كتب جنابهُ كرَّاسة يردُّ فيها على مقالة نشرها المشرق في العام المنصرم عن اصـل الروم الملكيين (٣: ٢٦٧) زعم انَّ المشرق بقولهِ عن الروم الملكيين انَّ اصلهم من سوريَّة لا من اليونان ابتخس قدر هذه الطائفة الجليلة ودعا ابناءها الى الدخول في الطائفة المارونيَّة . وهي شكاية عجيبة بيَّنت لنا جليًّا ان مؤلف الكرَّاسة ليس من

المناظرين الذين يستحقون جوابًا لاسيَّما وانَّهُ ينسب الى كاتب مقالة المشرق التحريف والتزوير . امَّا كون الروم الملكيين سريانًا اصلًا ولغةً فهو امرٌ لا يشكُّ فيهِ ائمَّة المستشرقين . وان اراد البراهين على ذلك فليطالع الشمَّاس مقالة العلامة السيد اقليميس داود في مقدَّمة كتابهِ اللمعة الشهيَّة في نحو اللغة السريانيَّة (ص ٤٠ — ٥٠ من الطبعة الحديثة) وكتاب القصارى لهُ ايضًا ومقالاتٍ أُخرى نشرها في اوربَّة ل . ش

شذرات

تسبيع الدائرة وتتسيعها — ورد الينا من كفرعقاب في تاريخ ٨ آذار كتاب لجناب الرياضيّ الاديب الياس معلوف هذا نصُّهُ بحرفهِ : قد قرأت مؤخرًا في الجرائد السوريَّة إطراءها على جناب اللوذعي الماجد المعلم ابرهيم الحوراني من حيث انهُ وجد الطريقة لتسبيع وتتسيع الدائرة وان المعلّم المذكور اعطى مهلة ستة اشهر رياضيين لاجل حلّ هذه المسألة بحيث انهُ متى مضت الستة الاشهر المضروبة يحقُّ لهُ الحقّ بالتفرد بحلِّها ومن ثمَّ تعود لهُ وحدهُ الجوائز المعطاة من الدول بهذا الموضوع . فلهذا قد اتيت بعريضتي اليكم لكي يحيط علمكم وعلم المعلّم الآنف الذكر بانني قد حللتُها من زمن مديد ولموانع شتى لم ادرج ذلك الحلّ فاقتضى الآن درجهُ وهاكم ملخَّصهُ :

معلوم عند الرياضيين انهُ متى عُلم ضلع الشكل ذي الاربعة عشر ضلعًا المتساوية فلا يبقى إشكال في تسبيع الدائرة . ومثلهُ متى عُلم ضلع الشكل ذي الثمانية عشر ضلعًا المتساوية فلا يبقى إشكالٌ في تتسيع الدائرة وعلمٌ جبرًا والحال ان الشكل المتساوي الاضلاع الاربعة عشر هذه معادلة ضلعهِ : $ك^{٣} - ك^{٢} - ٢ك + ١ = ٠$ ومثلهُ الشكل المتساوي الاضلاع الثمانية عشر هذه معادلة ضلعهِ : $ك^{٣} - ٣ك + ١ = ٠$ وقس عليهِ

امَّا قيمة ك في المعادلة الاولى فهي ‘٤٤٥١ + وايضًا قيمة ك في المعادلة الثانية ‘٣٤٦٢ + .

وعليهِ تكون اذًا قيمة ضلع المسبَّع ‘٨٦٧٩ + وكذلك قيمة ضلع المتسَّع ‘٦٨٢٦ + الخ

هذا وعند الاقتضاء نعلن الطُّرق والعمليَّات التي يجب اتباعها لحلّ هذه المسائل العسرة المرام . وان شئنا ايضًا لامكننا بطريقة عامَّة ايجاد وحلّ معادلات جميع الاشكال ذوات الاضلاع المتساوية من اي عدد كانت فحبًّا بالاختصار اقتصرنا الآن على ما اوردناهُ

(المشرق) نظن ان صاحب الحلّ وَهِمَ بحلهِ وان واضع المسألة يطلب ايجاد طريقة لتسبيع الدائرة وتتسيعها بالمسطرة والبركار

❊ اللغز الاخير الوارد في المشرق ص٤٢٠ ❊ قد حلَّهُ ما عدا الذين دوَّنَّا اسماءهم في العدد السابق حضرة الاب الفاضل يوحنَّا شلهوب المرسل اللاتيني في الكرك والقس اغوسطين البستاني الراهب الحلبي والاب الياس جباره اليسوعي والاديبان يوسف الخوري بطرس من بحدرفل وفرنسيس الشمالي. وقد اتانا ايضاً نحو عشرين لغزاً جديدًا نوردها اذا سمحت الفرصة ان شاء الله

أَسْئِلَةٌ وَأَجْوِبَةٌ

س سألنا حضرة الخوري نيقولا صنير: ١° ما هي الاعمال المفروضة في الشهر المريمي لربح غفارينهِ وما هي هذه الغفارين. ٢° هل تُحسب في وقت اليوبيل الزيارات للكنائس المبيَّنة اذا وجدها المؤمنون مقفلة فصلُّوا على بابها الصلوات المفروضة

الشهر المريمي — وزيارة الكنائس المقفلة في زمن اليوبيل

ج نجيب عن (الاول) انَّ الكرسي الرسولي لم يفرض اعمالًا مخصوصةً لعبادة الشهر المريمي وانَّما يكفي ان تُكرَّم العذراء الطاهرة ببعض صلوات او افعال تقويَّة خصوصيَّة او عموميَّة كما يشاء المؤمنون. امَّا الغفارين الممنوحة لذلك فهي غفران ٣٠٠ يوم في كلّ نهار ثمَّ غفران كامل لمن داوم على هذه العبادة طول الشهر بشرط ان يعترف ويتناول القربان الاقدس ويصلّي على نيَّة الحبر الاعظم. وهذا الغفران الكامل يمكن ربحهُ في ايّ يوم شاء المؤمنون من شهر أيَّار وفي اليوم الاول من حزيران. نجيب على (الثاني) انَّنا نرجح صحَّة هذه الزيارات اذ لا شيء في منطوق المنشور البابوي ينفيها فضلًا عن انهُ يصعب على كثيرين ان يكرّروها لاسيَّما اذا كانت الكنائس بعيدة

س وسأل حضرة الاب الفاضل بولس ازرق رئيس دير صربا هل يُجمَع على الرهبان بان يقدّموا صلواتهم القانونية على نيَّات المحسنين بحيث لا يجوز ان يشركوا غيرهم بالنيَّة

الفرض القانوني

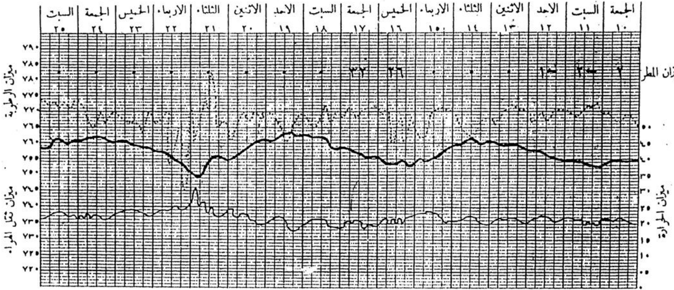
ج الفرض القانوني لا يدخل عادةً في الصلوات المفروضة لاجل المحسنين ما لم يصرِّح بهِ الرؤساء. وان فعلوا فلا بأس ان تُضاف الى هذه النيَّة الاولى نيَّات أُخر ثانويَّة

س وسأل احد الادباء ما اصل كلمة «فيدوس» وكيف تكتب لفظة «قارة» أبالرَّاء المشدَّدة او المخفَّفة

اشتقاق لفظة فيدوس وقارة

ج فيدوس لفظة تركيَّة بايدوس معناها مجاز العمل والعطلة وقيل انَّ اللفظة التركيَّة مشتقَّة من اليونانيَّة παῦσις. امَّا «قارة» فقد ضبطها في محيط المحيط بالراء المشدَّدة ولم يضبطها غيرهُ. كأنَّهُ اشتقَّها من قرار الارض وثباتها. وعندنا ان «قارة» بالرَّاء المخفَّفة ارجح اشتقاقًا من القَوْر اي القطع المستدير. وللقارة معانٍ عديدة بخلاف القارَّة ل. ش

قائمة للآثار الجوّية من ١٠ الى ٢٥ أيار ١٩٠١



انّ الخطّ الضخم (——) يدلُّ على ميزان ثقل الهواء المعروف بالبارومتر — والخطّ الرفيع المتتابع (——) على ميزان الحرارة (ترمومتر) امّا الخطّ المنقّط (.....) فهو دليل على ميزان الرطوبة (هغرومتر) — والاعداد الدالّة على درجات ثقل الهواء تدلّ ايضاً اذا حُذف منها عدد المئات على درجات الرطوبة وقد عُيّن التبخير وميزان المطر في ٢٤ ساعة بالملمترات وعُشر الملمترات